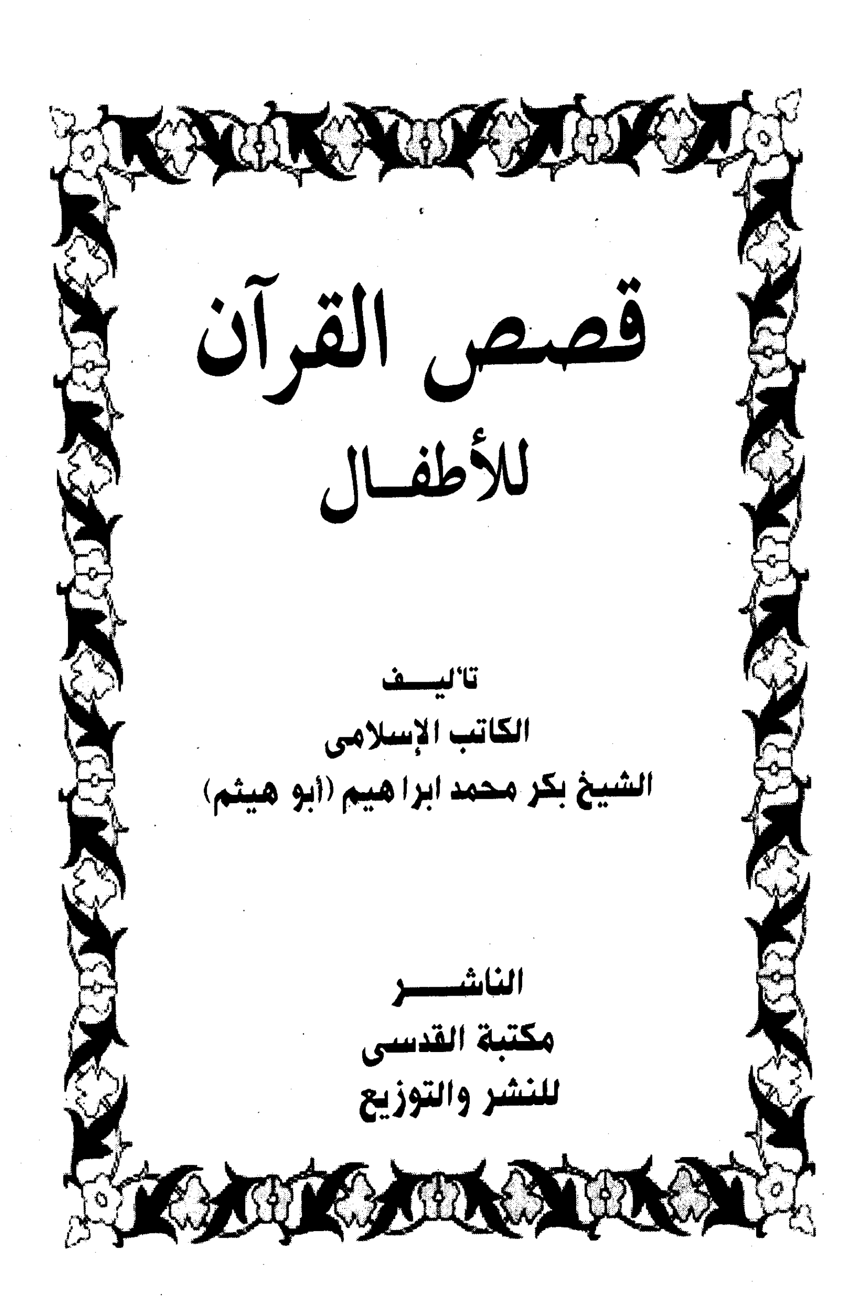


قصص القرآن

للأطفال

تأليف

الكاتب الإسلامى

الشيخ بكر محمد ابراهيم (أبو هيثم)

الناشر

مكتبة القدسى

للنشر والتوزيع

مكتبة القدسي

للنشر والتوزيع

٧٤ ش البستان ـ عابدين ـ القاهرة

ت : ٣٩٢٥٦٨٨

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م

رقم الإيداع: ٩٠٩٠ / ٢٠٠١

تطلب مطبوعاتنا

من

مركز توزيع الكتاب الإسلامي

٢ درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر

القاهرة ـ ت : ٥١٢٣٦١١



المقدمـــــــة

الحمد لله ولى الصالحين والصلاة والسلام على إمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه الطيبين الطاهرين.

أشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول رب العالمين.

وبعد..

فهذا كتاب قصص القرآن للأطفال يحوى الكثير من القصص الذي ورد في القرآن الكريم لأخذ العظة والعبرة والدروس القيمة المستفادة من قصص الأولين كالتاريخ فى الدروس والعبر وخاصة أن هذا الكتاب يروى قصص أناس وأقوام غيروا مجرى التاريخ ومن القصص الذى رويناه فى هذا الكتاب باسلوب مبسط قصة ابنى آدم قابيل وهابيل وقصة سفينة نوح وقصة اصحاب الكهف، وذى القرنين وقارون وملكة سبأ وهاروت وماروت وصاحب الجنتين والعبد الصالح عزير وغيرها من روائع القصص القرآنى. نفع الله به وجعله لنا ذخراً وأثاب من قرأه وانتفع به ومن اخرجه.

والحمد لله أولا وآخرا،

المـؤلف

الشيخ بكر محمد إبراهيم

قصــــة
قابيـــــل وهابيـــــل

بنى العزيز:

قال تعالى: ﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: ٢٧-٣١).

وروى البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ:

«ليس من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل».

والكفل هو النصيب.

وسوسة الشيطان:

بنيتى العزيزة.

كان آدم عليه السلام أبوالبشر وزوجه حواء يتنعمان فى الجنة بأصناف النعيم المختلفة ويتنقلان فى أرجائها ورياضها ويستمتعان بالأكل من أشجارها وطيورها وثمارها ويستمتعان بظلالها ويشربان من مياهها ويشاهدان جمال ما فيها من الأشجار والطيور والأنهار وغيرها.

ويلبسان الحرير بكافة أنواعه من السندس والاستبرق والديباج. ويستمعان لتغريد الأطيار وخرير المياه ويشمان الريحان واطايب الروائح والمشمومات حيث اجتمع لهم كل انواع النعيم من أمن وأمان وصحة وطعام وشراب ولباس وسماع ومشاهدات ولاينغص عيشهما منغص حتى كان ذات يوم

وهمـا فى تجـوالهـمـا فـى رياض الجنة . وصـلا إلى شـجـرة كـان الله تعـالى قـد نهاهمـا عن الاقـتـراب منهـا فضـلا عن الأكل منهـا اختـبـارا لهـمـا وتدريبـا على مواجهة نهج الله بعد ذلك فى الأرض وليعلما عداوة الشيطان لهما ولذرياتهـما من بعدهـمـا وحقده وحسده للنوع الانسانى.

وقد كـان.. فـقـد استطاع إبليس اللعين أن يدخل إلى الجنـة بعـد أن طرد منها حيث اختبأ فى فم حية وذلك لحكمة أرادهـا الله تعالى الذى لايخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء.

أخـذ ابليس يراودهـمـا ويـغـريهـمـا بالأكل من الـشـجـرة، وتردد آدم وحـواء وهـربا منه فأخذ يلاحقهما ويقسم لهما (يحلف) أنه لهما من الناصحين وأنهما إذا أكلا من الشجرة صارا ملكين وكانا من الخالدين اللذين لايذوقان الموت.

ونسـى آدم أمـر الله وفـقـد عـزيمتـه ورغب فـى الملك والخلد كـمـا مناه الشـيطـان وظن أنه لايسـتـطيع مـخلوق أن يحلف بـالله كـاذباً ووقع فـى شـراك (مـصـيـدة) الشيطان فـأكل هو وحواء من الـشـجـرة بدافع الفضـول وحب البـقـاء خاصة أن الشـيطان كان يلح عليهـمـا ويهون لهما عاقـبـة مايوسوس به حتى وقعا فى الفتنة وأكلا من الشجرة.

عـنـدئذ ذهبت الـسـكرة وجـاءت الفكرة بـعـد أن طارت عنـهـا ثـيـاب الجنة وبدت لهـمـا سـؤاتهـمـا (عوراتهـمـا) وطفقـا يخصـفان (يلصـقـان) عليـهـمـا من ورق الجنة ليواريا (يغطيا) السوء ويستران العـورة فشعرا بفداحة الخطأ (جسـامته) وعظم الذنب وأدركا أنهما خدعا خدعة كبيرة وفضحا فضيحة شنيعة.

العقاب والطرد:

بنى العزيز.. بنيتي العزيزة:

لاينبغى أن تستهينا بالذنوب فقد عوقب ابونا آدم وأمنا حواء على ذنب واحـد عقـوبتـه شـديدة تمثلت فـى كشف العـورة ونزع النعـمـة والـطـرد من الجنة واللوم والتأنيب ومكابدة الشقاء فـى الدنيا حيث مـارسـا العـمـل بأنفسـهمـا وقـامـا على خدمة أنفسهما واعداد الطعام والشراب واللباس والسكن ومواجهة أخطار الدنيـا ومنغصـاتهـا وأمـراضـهـا واوجـاعـهـا وهمـومـهـا وشـقـائهـا ونكدهـا وخـوفـهـا

وسـبـاعـهـا وهوامـهـا وبردها وحـرها وغـيـر ذلك من انواع الـهـمـوم والبـلاء والمنغصات التى تتصف بها الدنيا.

قال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ (الاعراف: ٢٢) فطأطأ آدم وحـواء رأسـيـهـمـا حـيـاء من الـذنب واسـتـشـفـعـا الـيـه سـبـحـانه من العقاب، بالتوبة والرجوع ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٣٧)

ثم أمـرهـمـا ربهـمـا بالهـبـوط إلـى الأرض والخـروج من الجنة، حـيث تكون الأرض لهما ولذرياتهما مستقرا ومتاعا إلى يوم القيامة، حين البعث والنشور (الإحياء) والحساب للثواب أو العقاب.

كما حذرهما من عداوة الشيطان مرة أخرى، وأخبرهمـا أنه تعالى سينعم عليهم برحمة الهداية وإنارة السبل (الطريق).

قـال تعـالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾ (طه: ١٢٣).

هبط آدم عليه السلام ومعه حواء إلى الأرض وبدءا معركة الحياة الدنيا وقـد تـزود آدم بمنهج الله وكلمـاته فـاتخـذها أسـاسـا لانطلاقـه فى خـلافـتـه وعمارته للأرض ونورا يبدد الظلام، ويذلل الصعوبات والعقبات.

الأسرة الأولى فى الدنيا:

حملت حواء حملها الأول، وبعد تمام حملها وضعت طفلين دفعة واحدة (توأمين) ذكراً وأنثى، فرح بهما أبوهما وسرا غاية السرور.

وكانت الطفلة تشابه أمها جمالا وبهاءا. وعاش الطفلان فى رعاية الأب وحنان الأم وعطفهما ورعايتهما وأخذا يشبان يوما بعد يوم. وكانت البنت كلما كبرت بدا جمالها ونضجها وجاذبيتها. وراح الأب يوفر لأسرته مقدمات الحياة من طعـام وشـراب ولبـاس وسـكن. يتعـامـل مع الأرض والطبـيـعـة ويوفـر لأسـرته الرعاية والحماية.

ومالبثت حواء ان حملت حملها الثانى، وبعد أشهر وضعت كذلك توأمين ذكراً وأنثى. وكبرت الأسرة وزادت الأعباء والمسئوليات.

حياة الأسرة الأولى:

وكان آدم عليه السلام قد سمى بكره (مولوده الأول) «قابيل» وسمى المولود الثانى «هابيل».. ومرت الأعوام والسنون وتعاقب الليل والنهار وكان الأطفال يكبرون ويشتد عودهم، حتى بلغوا مبلغ الشباب فشاركا فى اعباء الأسرة وكسب العيش وتأمين حياتها بممارسة الأعمال والتصدى للسباع ومواجهة قسوة الطبيعة وتقلباتها.

وكانت الفتاتان فى خدمة والدتهما وكلما كبرا يبدو عليهما ملامح النضج والأنوثة.

وكانت الحياة ومازالت تحتاج إلى تنوع النشاط وتعدد الموارد والحاجات والرغبات فتعلم قابيل الفلاحة فشق الأرض وبذر البذور وحصد الزرع وكان يوالى خدمة الأرض فيجنى من خيراتها وثمارها.

أما هابيل فقد أتخذ حرفة الرعى حيث تعلم رعى الأغنام وتربيتها وإطعامها من المراعى يتحرى بها مواطن العشب وآبار المياه، ويحلب ألبانها ويجز (يحلق) اصوافها ليصنع منها أخواته الملابس الصوفية فانتفعت الأسرة بلحوم الأغنام والماشية وألبانها وأصوافها وجلودها كمصادر للخير والعطاء لتلبية الكثير من ضروريات الحياة وحاجات العيش.

وكان يكد فى رعايتها وتسمينها ويقيم لها الحظائر لحمايتها والمحافظة عليها حتى تتكاثر.

وسوسة الشيطان:

وكان إبليس يتربص لهذه الأسرة السعيدة ويتحين الفرص لتنغيص عيشها وتكدير حياتها وبث العداوة والأحقاد والضغائن بين افرادها وتحويلها عن منهج الله تعالى لأنه لم ينس عداوته وحقده، وعاش واضعا نصب عينيه هذا الهدف غواية بنى آدم وإضلالهم ليكونوا من أصحاب السعير.

وكانت الفتاة البكر، التى ولدت توأما لقابيل أجمل من أختها توأم هابيل، وقد بلغت مرحلة الشباب والجمال والنضوج والجاذبية، فكانت تميل بعواطفها وقلبها إلى هابيل، وهو يبادلها حبا بحب. وكان ذلك إلهاما من الله تعالى



وحكمة منه سبحانه، وكان قابيل يحاول أن يجذبها إليه ويستأثر بها دون اخيه دون جدوى.

فراح الشيطان يبث فى صدر قابيل الحقد والحسد والعداوة والبغضاء تجاه اخيه الصالح هابيل ليتعس هؤلاء الأبناء كما أغوى من قبل أباهم وأمهم.

فإنه لم ينس عداوته السابقة لآدم يوم أمره الله تعالى بالسجود له حفاوة به وتكريما له، فاستكبر ابليس، وتوعد وانذر، فلما سنحت له الفرصة للإنتقام لم يتأخر. وها هو اليوم يتحفز من جديد ويعاود الكرة (الرجعة) لكى لايترك ابناء آدم ينعمون برغد العيش وحلاوة الطاعة.

وبدت البغضاء على لسان قابيل معبرة عما سكن فى قلبه، فأخذ عليه فى العداوة لأخيه ويهدده وينذره.

تقديم القربان:

وأراد آدم عليه السلام أن يقطع دابر الفتنة بين ولديه، ويحكم الله تعالى فى شأنهما فطلب اليهما بعرض من الله تعالى أن يقرب كل منهما قربانا إلى الله تعالى. فمن قبل قربانه دل ذلك على رضى الله عنه وأنه على الحق فيفوز بمطلوبه وتتحقق رغبته.

فقام هابيل فقدم على باب بيته كبشا سمينا وربطه امام داره وقدم قابيل المزارع حزمة من القمح ووضعها على باب داره. ومع بزوغ الشمس كان قربان هابيل قد قبل ورفع إلى السماء أمامهم وهم يشاهدون. أما زرع قابيل فقد رد عليه فلم يقبل.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة : ٢٧)

كيد الشيطان:

وكان إبليس يرقب مايجرى بين الأخوين ويتحين الفرص فلما وجد أن قربان هابيل قبل ورد قربان قابيل، عاد إليه يغريه بعداوة أخيه وبغضه ويزين له رد أمر الله وعدم التسليم له واغواه بقتله وعلمه القتل بحجة أن هابيل هو

العائق أمامه والحائل (المانع) بينه وبين رغباته وأمانيه، وأنه لابد من إزاحته والتخلص منه.

الشحناء:

أعلن قابيل فى وجه أخيه تهديده بقتله إن لم يترك له توأمه (توأمه قابيل) ليتزوجها دونه، قال لاخيه سأقضى عليك وأنهى حياتك، لأنك تنغص على حياتى وتتكد على عيشى وتسبب لى التعاسة. لقد قبل قربانك ورد قربانى فرد عليه هابيل: انما يتقبل الله من المتقين.

فازدادت ثورة قابيل وأكد أنه سينفذ تهديده واستولى عليه الشيطان ونفخ فى أنفه فاشتد غضبه. فرد عليه هابيل:

﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ  إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: الآية ٢٨ , ٢٩)

وقوله تبوء أى ترجع. والاثم هو الذنب. أى تحمل خطاياك وذنوبى على صدرك وتكتب فى ميزان أعمالك يوم القيامة. فتكون عاقبة الظالم بعد أن يدفع حسناته للمظلوم ويحمل عنه سيئاته أن يدخل النار لفقده للحسنات وحمله للسيئات جزاء (عادلا) على ما اقترفت يداه.

فأراد هابيل أن يبعث الصحوة فى ضمير قابيل وينأى (يبعد) به عن الإصغاء للشيطان فذكره بالخوف من الله لئلا يكون من أصحاب النار فلم يرتدع قابيل (لم ينزجر).

القتل والجزاء:

قام قابيل إلى أخيه وهو نائم فالقى على رأسه صخرة عظيمة والشيطان يحفزه ويهون عليه الجريمة فحطم رأس أخيه وسفك دمه.. ووقف ينظر إلى ماقدمت يداه وقد تحول أخوه إلى جثة هامدة، فاضطربت نفسه، وأحس بوطأة (ثقل) الجريمة وماجناه فى حق أخيه إذ سلبه الحياة ظلما وعدوانا. وشعر

بفقدان الأخ والنصير (فأصبح من الخاسرين) ولامته نفسه وخيم عليه الحزن وشل تفكيره.

الندم:

قعد قابيل على صخرة وقد أثقلته الهموم وقد ثقلت قدماه فلم تستطيع حمله وعلى بعد خطوات منه نزل غراب، وأخذ ينكث في الأرض بمنقاره ومخالبه حتى حفر حفرة اودعها طائرا قد نفق (مات). ثم أهال التراب ثانية في الحفرة وطمها (ردمها) وطار في الهواء محلقا. وكان الغراب يفعل ذلك بوحي من الله تعالى، ليعلم قابيل كيف يواري جثة أخيه هابيل.

وكان قابيل قد شدت عيناه إلى الغراب وفعله، وشغل تفكيره واهتمامه، فلما رأى فعل الغراب وكيفية الدفن الذي كان يغيب عنه ولايعرفه، وكيف علمه الغراب ذلك. قال متحسرا نادما (ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فاصبح من النادمين)، إذ سفك دم أخيه على مذبح الشهوة والهوى، وأطاع الشيطان وعصى الرحمن.

قصة سفينة نوح
(عليه السلام)

بنى العزيز:

سارت البشرية عشرة قرون على طريق الايمان والتوحيد، ثم أنحرفت بعد عن هذا الطريق المستقيم وخرجت عن الفطرة (الخلقة) التى فطرها الله تعالى عليها واستولى الشياطين على عقول الناس فانستهم ذكر الله سبحانه وتعالى حتى عبدوا من دونه حجارة صماء لاتضرهم ولاتنفعهم، ولاتغنى عنهم شيئا، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يرسل إليهم رسلاً مبشرين بالثواب والجنة لمن أطاع الله ومنذرين بالعذاب والجحيم لمن أصر وعاند واستمر على العصيان والشرك. فكانت بعثة الرسل رحمة من الله تعالى بعباده ليأخذ الرسل بأيدى الناس إلى سبيل النجاة من عذاب الله فى الدنيا والآخرة.

فأرسل الله تعالى بعد آدم وشيت وإدريس نوحا عليه السلام وهو نوح بن لامك وكان بينه وبين آدم عليه السلام ألف سنة.

قال تعالى فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم: (وإنى خلقت عبادى حنفاء. كلهم. وإنهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطاناً)، ومعني حنفاء أى موحدين مائلين عن طريق الشرك. واجتالتهم أى استخفتهم وأزالتهم عما كانوا عليه من الايمان والهدى.

بنى العزيز:

وردت قصة نوح عليه السلام فى سورة الأعراف، ويونس، وهود، والأنبياء، والمؤمنون، والشعراء، والعنكبوت، والصافات، والقمر.

دعوته إلى الله:

لبث (مكث) نوح عليه السلام فى قومه تسعمائة وخمسين عاما، لايكل ولايمل عن دعوته إلى التوحيد ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً، فما زادهم ذلك إلا

فـراراً من الهـدى، وإعـراضـا عن الحق، فـقـد ظلوا يعـبـدون أصنامـهم التى صنعوها بأيديهم، واتخذوها آلهة من دون الله يرجون منها الخير، ويستدفعون بهـا الشـر فى زعـمـهم، ويردون كل شىء فى الحـيـاة اليـهـا، وسـمـوها بأسـمـاء لاحجة لهم بها من الله، وأوصى بعضهم بعضا بالعكوف لها غير مهتمين بما توعدهم (تهددهم) به نبيهم عليه اسلام، وكفوا عن مجالسته والسماع لنصحه، واتهموه بالضلال والكذب والجنون، وكان إذا رأوه وضعوا اصابعهم فى آذانهم وغطوا وجوههم بثيابهم.

ولكن نوحا عليه السـلام كـان يغشـاهم (يدخل عليهم) فى مـجـالسـهم، ويسـمـعهم كلمة الحق، رغما عنهم، ويجادلهم فى شأن أصنامهم، يريهم ماهم فيه من ضـلال وجهل، فيقولون: يانوح كيف نؤمن لك وقد اتبعك الأذلون من الضعفاء والفقراء الذين لا رأى لهم ولاعقل، وما أنت إلا بشر مثلنا وواحد منا، تأكل مما نأكل منه، وتشرب مما نشرب منه ولو شاء الله لأنزل ملائكة، وأمعنوا فى العناد، وقالوا : مانرى لك يانوح ولأصحابك علينا من فضل فى العلم والعقل، ولافى رعاية المصالح، ولا فى معرفة المعاد وخاتمة المطاف، بل نظنكم كاذبين.

فـأجابهم نـوح عليه السـلام فى حلم واسـتعطاف وبالحـجج المقنعـة على اتهاماتهم بأنه ليس من العجب أن يبعث الله اليهم رسولاً منهم فذلك خير لهم وأقرب إلى نفوسـهم، وليس ايمـان الفقـراء والضـعفـاء به صـارفـا لهم فـالحق لايتغير ولايتبدل.

وقال لهم إذا كان الله تعالى منَّ على برحمة الرسالة وشرفنى وفضلنى بها فهل استطيع أن الزمكم أو احملكم على الايمان، وكيف أتخلى عن الضعفاء والفقراء واطردهم من مجلسى لاستخفافكم بهم وقد سوى الله بينكم وبينهم، وإنما الفـضل بالتـقـوى والايمان والعـمـل الصـالح، ومن ينصـرنـى من الله إن طردتهم وابعدتهم من أجلكم.

ولما اشتد بينهم وبينه الجدل، وازداد الخلاف، ضاقت صدورهم به وقالوا آخر ماعندهم من مقال ليكف عن جدالهم وعن دعوتهم، وييأس كل الناس من استجابتهم له وإيمانهم به.

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(هود: ٣٢).

فرفق بهم نوح وقال: إنكم تسرفون فى الجهل، وتمعنون فى الحمق، ومن أنا حتى آتيكم بالعذاب أو ادفعه عنكم، وهل أنا إلا بشر مثلكم يوحى إلى أنما الهكم إله واحد، فابلغكم ما أمرت به وأبشركم وأنذركم، وأن مرد كل شىء إلى الله إن شاء هداكم وإن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء امهلكم.

شكواه إلى الله تعالى:

فلما لم يجد نوح استجابة منهم ورأى إصرارهم وعنادهم وما انتهى إليه أمره وأمرهم شكى إلى الله قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا(٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (نوح: ٥ ـ ٩).

وكانت هذه الشكوى تنفيسا عن قلبه الحزين، وإبراء لذمته أمام ربه سبحانه وتعالى.

وبعد أن عرض شكواه دعا عليهم بالعذاب الذى طلبوه واستعجلوه ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٦ ـ ٢٧).

وقوله: لاتذر: أى لاتترك. وقوله: دياراً: أى لاتترك على الأرض أحداً يسكنها من الكافرين.

فاستجاب الله له، وامره أن يصنع الفلك ويكف عن مخاطبته فى شأنهم فإنهم هالكون لامحالة، فقال عز وجل:

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود: ٣٦ ـ ٣٧).

فاتخذ نوح عليه السلام مكانا بعيدا عن المدينة وأعد الألواح والمسامير وأخذ يعمل، ولكنه لم ينج من سخرية القوم واستهزائهم.

فقال بعضهم: إنك يانوح كنت تزعم قبل اليوم أنك نبى ورسول فكيف أصبحت اليوم نجاراً، أزهدت فى النبوة، أم رغبت فى النجارة؟ وقال غيرهم: مابال سفينتك تصنعها بعيدة عن البحار والأنهار، أأعدت الثيران لجرها، أم كلفت الهواء حملها؟!

ولكنه كعادته لم يكن فاحشا ولا لعانا فاكتفى بقوله كما قال القرآن عنه:

﴿إن تَسْخَرُوا منَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ منكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (هود: ٣٨ - ٣٩).

نجاة نوح ومن معه من المؤمنين:

واستمر نوح عليه السلام فى صنع السفينة حتى أحكم بناءها واتقن صنعها وانتظر أمر الله تعالى، فأوحى إليه انه إذا جاء أمرنا وظهرت آياتنا فاقصد إلى سفينتك، وخذ المؤمنين من قومك واحمل معك من كل زوجين اثنين (أى من الحيوان والنبات).

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ (هود: ٤٠).

والتنور هو الفرن. أى إذا فار الفرن الذى فى بيتك بالماء فقد جاء أمرنا بركوب السفينة وإغراق الكافرين فاحمل من كل نوع زوجين واحمل أهلك إلا من كفر منهم وهم زوجه وأحد أبناءه واحمل المؤمنين وهم قلة قيل ثلاثة وثمانون رجلاً وامرأة.

وتفتحت أبواب السماء بالماء، وتفجرت عيون الأرض، فهرع نوح أى أسرع إلى السفينة، وحمل ما أمره الله بحمله من الإنسان والحيوان والنبات. وقد أتى إليه الحيوان والنبات حيث ساق الله إليه هذه المخلوقات لأنه لايستطيع أن يطوف بالأرض كلها ويدخل الكهوف والجحور لجمعها.

وقال لأهله ومن آمن معه، استقروا على ظهر السفينة واحمدوا الله على نعمة النجاة، ولايخيفنكم ماترون من السيول العارمة والأمواج المتلاطمة ولاتخشوا على سفينتكم من الغرق فى هذا الطوفان العظيم لصغرها وضعفها، فإنها تسبح فى الأمواج بقدرة الله وعنايته، وتستوى بمشيئة الله تعالى حيث أراد، ولاراد لقضائه ولامعقب لحكمه، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، فإن الله عز وجل قد أوصاه إذا ركب السفينة هو ومن معه أن يثقوا جميعا بالنجاة، وأن يلهجوا بحمده والثناء عليه ليكون حسن توكلهم وجميل ثنائهم وخالص دعائهم صمام الأمان لهم قال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٨ ـ ٢٩).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (هود: ٤١).

وأطل نوح عليه السلام برأسه ليرى هلاك القوم فأبصر من بينهم ولده كنعان ـ يقاوم الأمواج وتقاومه، وكانت تقوى الله قد غلبت عليه فاعتزل أباه وأعرض عن دينه والتحق بأمه، فناداه مستعطفا مشفقاً أن يركب معه السفينة لينجو بنفسه، وكرر النداء مرة بعد مرة لعل نداءه يصل إلى قلبه، ولكن لم يجد جدوى من هذا النداء، فقال فى عناد وغرور: سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء، ولم يعلم هذا المغرور الأثيم أنه لاعاصم له من أمر الله، ولامهرب من قضائه وقدره، فغالبته الأمواج، وحالت بينه وبين أبيه فلم يعد يرى كل منهما الآخر فكان من المغرقين، قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود ٤٢ ـ ٤٣).

ولما حال الموج بينه وبين ولده كنعان، استبد به الحزن واشتد عليه الكرب، وغالبه حنان الأبوة، فاستغاث بربه لينقذ فلذة كبده من الغرق المحقق لعلمه بقدرته على كل شىء، وقد ظن ان ولده من أهله الذين وعده الله بنجاتهم،

فأخبره الله عز وجل أن الكفر قد حال بينهما وأن كلمة العذاب قد حقت على ولده فلا مهرب له منها، وأن شفاعته له لا حمل لها.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود ٤٥ ـ ٤٦).

ولما قضى الله قضاءه وأغرق القوم الظالمين، أمر السماء أن تقلع (تكف) عن إنزال الماء، وأمر الأرض أن تغيب الماء فى أعماقها، لتعود الحياة عليها كما كانت قبل الطوفان فى جو آخر يعود فيه الأمن والسلام، ويعبدون المؤمنون ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه.

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٤٤).

وهبط نوح عليه السلام بسفينته على هذا الجبل بسلام من الله كما أمره الله عز وجل، وخرج هو ومن معه إلى الفضاء الواسع الفسيح، يتفرغون لعمارة الأرض من جديد بعد أن غسلها الطوفان وطهرها من الشرك وأهله.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٤٨).

وظل نوح بعد الطوفان زمنا يعلم المؤمنين أمور دينهم، ويزكى (يطهر) نفوسهم بما أوحاه الله اليه حتى لقى ربه، وقد مات المؤمنون الذين كانوا معه فى السفينة واحدا بعد الآخر، ولم يتركوا ذرية من بعدهم فى الأرض إلا أولاد نوح عليه السلام وهم سام وحام ويافث، فإنهم قد تركوا من خلفهم ذرية، تفرقوا فى الأرض وعمروها، فكان جميع أفراد البشر من نسلهم. فسام أبوالعرب والعبريين، وحام ابوالسودان والحبشة وغيرهم من الأفارقة، ويافث أبو الترك وغيرهم من العجم. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (الصفات: ٧٧).

وحفظ الله لنوح عليه السلام ذكراه العطرة فى كل أمة من العالمين.

صفات نوح عليه السلام:

هو الأب الثانى للبشرية، وتعرض للأذى من قومه، وهو من أولى العزم [1] من الرسل، واصحاب الهمم العالية والأخلاق السامية، وهو مثل أعلى لغيره من الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (٧٨) سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصافات: ٧٨ ـ ٨١).

١ ـ أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم أفضل الرسل.

قصة ناقة صالح
(عليه السلام)

ورث ثمود الأرض بعد أن هلك قوم عاد وعاش ثمود فى ديار الحجر فى شمال الجزيرة العربية بين المدينة والشام، فعمروها وفجروا فيها العيون والآبار، وغرسوا فيها الحدائق والبساتين، ونحتوا لهم فى الجبال بيوتا، ووسع الله عليهم فى الرزق، وأمدهم بالبنين والأنعام (الابل والبقر والغنم) فجاوزا الحد فى الظلم والعدوان، وعبدوا غير الله تعالى، فارسل الله إليهم صالحاً.

نسب صالح عليه السلام:

هو صالح بن عبيد بن ماسح بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عابر بن إرم ابن سام بن نوح عليه وعلى جميع الأنبياء السلام.

فدعاهم إلى عبادة الله، وحثهم على توحيده، فهو الذى خلقهم، واستخلفهم لعمارة الأرض، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة. ونهاهم عن عبادة الأصنام فإنها لاتضر ولاتنفع، ولاتملك لهم من الله شيئا، وحذرهم عاقبة الشرك والظلم والإفساد.

وذكرهم بأواصر القربى (روابط) التى تربطه بهم، ومابينه وبينهم من نسب، وأنهم قومه وعشيرته، وقد عاش فيهم عمراً طويلا، يحسن إلى صغيرهم وكبيرهم، وماجربوا عليه من كذب ولا خيانة، وماعرفوه إلا رجلاً كريما حليماً ودودا، رشيدا (عاقلا) سديدا (صائبا) فى أقواله وأفعاله، فوجب عليهم أن يؤمنوا به ويستجيبوا لدعوته، وقد جاءهم بالبينات من ربه، وأتاهم بما فيه خيرهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة، وهو لايرجو منهم على دعوته أجرا، ولايريد ان يكون عليهم ملكا، وما أمرهم بما يشق (يصعب) عليهم، بل أمرهم أن يعبدوا الله ويستغفروه ويتوبوا إليه فهو قريب مجيب لمن دعاه.

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).

لكن القوم أعرضوا، وتمسكوا بما كان عليه آباؤهم، وسخروا من رسولهم وأنكروا عليه نبوته، ولاموه فيها، وأنبوه على صدورها منه، وارتابوا، فى أمره (شكوا).

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (هود: ٦٢).

اى قالوا: ياصالح لقد عهدناك صائب الرأى، لاتقول إلا حقا، ولاتتكلم إلا بخير، وكنا ندخرك للشدائد، قلها بصائب رأيك، وكنا نرجوا أن تكون عدتنا حين يشتد الأمر، فنطقت قبحا وزورا، وأتيت منكرا ماهذا الذى تدعونا إليه؟ أتنهانا أن نعبد ماكان يعبد آباؤنا، وتددرجنا عليه (ألفناه) ونشأنا متمسكين به! إننا لفى شك مما تدعونا إليه مرتابين، ولانطمئن إلى قولك، ولانثق بصدق دعوتك ولن نترك ماوجدنا عليه آباءنا ونميل مع هواك وزيفك.

فحذرهم مخالفته وأعلن فيهم رسالته، وذكرهم بما أسبغ (أفاض) الله عليهم من نعمه، وخوفهم بأسه (شدته) وبطشه (انتقامه)، وأبان لهم أنه لا يرجو من وراء دعوته نفعا، ولايطمع فى غنيمة، او يتطلع إلى رئاسة، وهو لم يسألهم عن الهداية أجرا، ولم يطلب جزاء على النصيحة، وإن أجره على الله رب العالمين، دفعا لكل شبهة تدور فى رؤسهم.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾ (الشعراء: ١٤١: ١٥٢).

واستمر القوم فى ضلالهم وعنادهم، وسبوه واتهموه بالسحر، وسألوه معجزة تكون دليلا على صدقه، وبرهانا على صحة دعوته، وتفننوا فى هذا الطلب وغالوا فيه، سخرية منهم به واستهزاء بدعوته.



ففى يوم كان القوم مجتمعون فى ناديهم فجاءهم رسول الله صالح عليه السلام فدعاهم إلى الله، وذكرهم وحذرهم، ووعظهم وأمرهم ونهاهم، فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة هناك - ناقة (أنثى الجمل)، من صفتها كيت وكيت، وذكروا أوصافا سموها، وتعنتوا فقال لهم النبى صالح عليه السلام: أرأيتم (أخبرونى) إن أجبتكم إلى ماسألتم على الوجه الذى طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقونى فيما أرسلت به اليكم، قالوا: نعم، فأخذ عهدهم ومواثيقهم على ذلك، ثم قام إلى مصلاه فصلى لله عز وجل ماقدر له أن يصلى، ثم دعا الله ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ماطلبوا، فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر (تنشق) عن ناقة عظيمة عُشراء (حامل) على الوجه الذى طلبوه، فلما نظروا إليها رأوا أمراً عظيما ومنظرا هائلاً، وقدرة باهرة، ودليلا قاطعا وبرهانا ظاهراً، فآمن بعضهم واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم.

قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ (الإسراء: ٥٩)

بني العزيز.. بنيتى العزيزة:

لقد سميت هذه الناقة «ناقة الله» تشريفا لها وتعظيما لشأنها، واشترط عليهم صالح أن يتركوها ترعى فى أرض الله تعالى ولايتعرضوا لها بسوء حتى لايصيبهم العذاب الأليم، وظلت هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم، وترد الماء يوما بعد يوم، وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك، فكانوا يرفعون حاجاتهم من الماء فى يومهم لغدهم، وكانوا يشربون من لبنها كفايتهم، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٧٣).

وقال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٥٥ - ١٥٦).

فلما طالت عليهم هذه الحال اجتمع سادتهم وكبراؤهم، واتفق رأيهم على أن يعقروا [1] الناقة ليستريحوا منها، ويتوفر عليهم ماؤهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم.

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: ٧٧).

وكان الذى تولى قتلها منهم رئيسهم قدار بن سالف، بمعونة ثمانية من أفراد القبيلة كما جاء فى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل: ٤٨ ـ ٤٩).

أى قال بعضهم لبعض احلفوا بالله أن نذهب إلى صالح فى بيته، فنقتله هو وأهله، ثم نقول لوليه ـ أى لعصبته ـ ماقتلناه ولاشهدنا (حضرنا) قتله، ولكن الله كان محيطا بمكرهم.

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٥٠ ـ ٥٣).

وقد متعهم الله فى ديارهم (بيوتهم) بعد قتل الناقة ثلاثة أيام، فى اليوم الأول اصفرت وجوهم، وفى اليوم الثانى احمرت وجوههم، وفى اليوم الثالث اسودت وجوههم، وفى ذلك يقول الله عز وجل: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ (هود: ٦٥) وفى صبح اليوم الرابع جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم، ورجفة شديدة من اسفلهم فزهقت الأرواح، وسكنت الحركات فأصبحوا فى دارهم جاثمين جثثا لا ارواح فيها ولا حراك بها. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ (هود: ٦٦ ـ ٦٨).

---

(١) الناقة تعقر ولاتذبح لغلظ رقبتها والعقر أن تطعن رقبتها طعنة رأسية وطعنة أفقية.



وقال عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (الشمس: ١١ ـ ١٥).

ولقد كان الطغيان هو السبب فى تكذيب ثمود، وكان كفرهم وعقرهم الناقة هو السبب فى إهلاكهم.

وقوله إذ انبعث اشقاها: أى اشقى القبيلة وأسوأهم نصيرا وأكثرهم إجراما وقوله: فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها: أى أياكم وناقة الله أن تمسوها بسوء أو تمنعوها الماء أن ترده كيف ارادت. وقوله فدمدم عليهم: أى فدمر أرضهم وأهلكهم، لأنهم لم يأخذوا على يد الظالم ولم يمنعوه من جريمته، بل رضوا عن فعله.

قصة موسى والخضر
(عليهما السلام)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٦٠ ـ ٨٢).

تحكى هذه الآيات ماكان بين موسى والعبد الصالح الخضر عليه السلام وهو عبد صالح مختلف فى نبوته فبعض العلماء يرون أنه كان نبيا وبعضهم يرى أنه كان وليا .

وقف موسى عليه السلام خطيبا فى بنى اسرائيل يحضهم على الايمان ويحثهم على الطاعة، ويدعوهم إلى التمسك بشرع الله لهم.

وكان موسى عليه السلام خطيبا بارعا وعالما فذا فتح الله عليه فى الوعظ والإرشاد، وضرب الامثال فاستحوذ على مشاعر الناس وعقولهم. فأنصتوا له معجبين فلما فرغ من خطبته، سأله احد المعجبين بفصاحته وعلمه:

من أعلم الناس ياموسى؟ فقال على الفور «أنا» فعاتبه الله تعالى وأعلمه أنه كان يجب عليه أن يرد ذلك إلى علم الله سبحانه وتعالى. ثم أوحى إليه: أن عبدا من عبادى يقيم فى مجمع البحرين قد اتيته علما من عندى فاقصده لتتعلم منه مالم تعلم وترى ماوهبته لهذا العبد الصالح.

فاستشعر موسى عليه السلام خشية الله وندم على ماقال، ثم عزم على إيتان العبد الصالح طاعة لأمر الله واكتسابا للمعرفة. وكان موسى عليه السلام قد آتاه الله علما لايعلمه الخضر وكان الخضر قد آتاه الله علما لم يعلمه موسى.

ومن المعلوم أن موسى عليه السلام كان أفضل أهل زمانه فهو نبى رسول من أولى العزم من الرسل وكليم الله ومصطفاه.

بنى العزيز

والخضر عليه السلام إما أنه كان نبيا ويكون مبعوث إلى قوم غير بنى إسرائيل وهذا مايراه علماء أهل السنة وإما أن يكون وليا تابعا لنبى آخر غير موسى عليه السلام ومن المعلوم أن الأنبياء والرسل كانوا يتعددون فى الزمن الواحد ويبعث كل منهم إلى شعب بعينه أو شعوب بعينها ويبعث الآخر إلى شعب أخر.

كان إبراهيم عليه السلام مبعوثا إلى شعوب بابل (العراق) والشام وكان ابن أخيه لوط مبعوثا إلى سدوم وعمورية عند البحر الميت.



وليس صحيحا مايزعم بعض الجهال والضالين أن الولى يسعه الخروج على شريعة النبى المعاصر له والمبعوث إليه.

موسى وفتاه:

سأل موسى عليه السلام ربه عن علامة تهديده إلى مكان العبد الصالح فقيل له احمل معك سمكة كبيرة فى مكتل (قفه) وحيث تفقد السمكة وتضيع فهناك نهاية المقصد.

وفعل موسى ما أمر، واستصحب معه فتاه يوشع بن نون وكان محببا لديه مقر بأنه مفضلا عنده، وانطلق باتجاه مجمع البحرين عند الطرف الغربى الجنوبى من برية «سيناء».

كان الطريق شاقا تتخلله الكثبان الرملية (الهضاب) حيث سار موسى وفتاه عبر مسافه طويلة تلفحهما اشعة الشمس.

فنال التعب من يوشع وارهقه الجهد وطول السير، فذكر ذلك لموسى عليه السلام كأنه يصرفه من متابعة السير ويحضه إلى العودة لكن موسى عليه السلام أبى أن يرجع عما اعتزمه، وصمم على مواصلة السير وتحقيق الهدف ولو أمضى فى ذلك زمنا طويلا فقال لفتاه: «لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا».

والحقب فى اللغة ثمانون سنة وهذا يدل على صدق العزم والاصرار على مواصلة السفر إلى العبد الصالح مهما كلفه ذلك من جهد.

عند الصخرة:

لما قارب موسى عليه السلام وفتاه يوشع بن نون الشاطىء احسا برد نسمات البحر الرطبة الناعمة وجلسا يستريحان عند مجمع البحرين واستظلا بصخرة كبيرة، ثم استسلم موسى عليه السلام للنوم وقت القيلولة. ولكن يوشع لم ينم وظل جالسا ينظر إلى الماء. وفى غفلة منه اخذ الحوت سبيله فى البحر يشق الأمواج بعد ان ردت فيه الحياة فهرب من المكتل، فانتبه ودهش وتحير.

النسيان:

واستيقظ موسى عليه السلام من تلك النومة. وقد استعاد نشاطه فقام واقفا وطلب من فتاه مواصلة السير إلى مقصده، فاستجاب يوشع، ولم ينطق بكلمة، فلما ابتعدا كثيرا عن ذلك الموقع، وتلك الصخرة، وجدا ظلا لشجرة مورقة، فأمر موسى فتاه بالجلوس معه تحت ظلها الظليل ليتناولا طعام الغداء فقال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً . والنصب هو التعب.

عندئذ تنبه يوشع عليه السلام وتذكر ماجرى من الحوت، وزال عنه النسيان الذى أصابه به الشيطان فقال لموسى: لقد تذكرت الآن ياسيدى ماحدث من امر عجيب عند الصخرة، لقد نسيت أن اتنبه للحوت فى المكتل، فقد قفز منه وتسلل مع الموج إلى عرض البحر وما من شك ان الشيطان هو الذى انسانى ذلك، وعقد لسانى لعجب ما رأيت وروعة ماشاهدت وعانيت.

«أرأيت إذ اوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا».

ذلك ماكنا نبغ:

قال موسى عليه السلام. فقد كان ذلك مقصدنا وغايتنا، وعلامة على مكان العبد الصالح، فلا بد من العودة، وقاما من فورهما ولم يتناولا طعاما متجهين إلى الصخرة، واستحثا الخطوات إلى المكان الذى غادراه.

«قال ذلك ماكنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا».

وكان فى أثناء عودتهما يقتفيان آثار أقدامهما حتى لا يضلا الطريق، ولايعمى عليهما المكان.

لقاء موسى والعبد الصالح:

وما أن وصل موسى عليه السلام وفتاه إلى الصخرة حتى وجدا عندها إنسانا، مهيب المنظر، بهى الطلعة، يضىء وجهه إشراقا، ويبدو عليه ملامح الصلاح والتقوى ونور الايمان، وتكسوه علامات الصلاح.

فتعرفا إليه وعرفهما بنفسه.. انه عبد من عباد الله الصالحين ملأ الله قلبه رحمة، وآتاه من عنده علما، فهو يمضى فى الحياة مع الناس على هدى وبصيرة من ربه.

«فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما»

وطلب موسى من العبد الصالح أن يرافقه ليتعلم منه ويتتلمذ على يديه فقال الخضر:

إن مصاحبتي للتعلم تحتاج إلى صبر شديد لاتحتمله ولاتستطيعه فكيف تصبر على أمور لم تخبرها ولم تمارسها وهى أمور تلتبس على كثير من البشر لخفاء حكمتها وغرابتها والانسان خلق عجولا.

بنى العزيز:

وكان الخضر ملما لهذا العلم فهو علم من عند الله تعالى لايكتسبه البشر من تلقاء أنفسهم.

ستجدنى إن شاء الله صابرا:

فرد موسى عليه السلام قائلا: «قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا» فقدم المشيئة على وعده بالصبر مع العبد الصالح وتعهد له بأن لايعصى له أمرا. فنظر إليه العبد الصالح وأضاف شرطا آخر فقال: وأشترط عليك الا تسألنى عن امر حتى احدثك عنه وأفسره لك وأوضح لك مااستعصى عليك فهمه وصعب إدراكه. فقبل موسى لهذا الشرط أيضا، فانطلقا.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف: ٦٦ ـ ٧٠).

رحلة العلم مع العبد الصالح:

مرت سفينة تشق أمواج البحر أمام موسى والخضر ويوشع عليهم السلام بينما هم واقفون على الشاطىء عند الصخرة، فأشار الخضر إلى ربانها فتوقف أمامهم وسألهم عن حاجتهم. فطلب منه العبد الصالح أن ينقلهم معه إلى شاطىء البر الثانى.. فرحب بهم، إذ كان يعرف العبد الصالح من قبل، ورفض اخذ الأجر منهم وسارت السفينة تشق أمواج الماء وشراعها تهتز مع هبوب الرياح، وموسى والعبد الصالح جالسين يتحدثان عند أحد أركان السفينة، إذ شاهدا عصفورا طائرا قد حط على صفحة الماء نقر نقرة ثم وقف على حافة السفينة، فقال الخضر: ياموسى إن علمى وعلمك ماهو إلا كنقرة هذا الطائر من البحر، إلى جنب علم الله تعالى.

قال هذا ممهدا لموسى طريق الدخول إلى مقدمات هذا العلم ليعلمه ماينبغى أن يكون عليه أهل العلم من التواضع.

الدرس الأول:

ولما أوشك العيد الصالح وموسى على النزول، عمد (قصد) العبد الصالح إلى قدوم وراح يعالج نزع لوح من ألواح المركب حتى نزعه من مكانه، وبدأ الماء يتدفق إلى داخل السفينة، التى أصبحت على مقربة من الشاطىء بحيث تنجو من الغرق لأن أصحاب السفينة يربطونها بالحبال عندما تصل إلى الشاطىء.

وكان موسى عليه السلام يشاهد ذلك فى دهشة وتعجب، فلم يتمالك أن قال: كيف تفعل هذا الأذى، وتلحق الضرر باناس أكرمونا ثم حملونا فى سفينتهم من غير أجر؟ إنك لتأتى فعلاً كبيرا فى إثمه فالتفت إليه العبد الصالح معاتبا ومذكرا بما اشترط من الصبر وعدم السؤال حتى يكون هو المخبر عما يجرى ويدور من أفعال وأحداث.

قال: لقد أنذرتك ياموسى من قبل، وقلت إنك لن تستطيع صبرا على ماسوف تراه، ولقد عاهدتنى على ذلك، فأين ماالتزمت به؟

فقال موسى عليه السلام معتذر بالنسيان وهو فى حالة من الحياء: لاتؤاخذنى، فقد غلب على النسيان، وأرجو الاتؤاخذ بذلك وتحملنى ضيقاً وحرجاً.

«قال لاتؤاخذنى بما نسيت ولاترهقنى من امرى عسرا»

فاحتملها الخضر وغفرها لموسى، ثم نزلا على الشاطىء واتجها ناحية قرية ساحلية.

الدرس الثانى:

وفى أثناء سيرهم وجدوا طائفة من الصبيان يلعبون ويركضون، ويمرحون ويضحكون فى سرور، فاقترب العبد الصالح من أحدهم، وامسكه، ثم ضربه ضربة قوية انخلع لها قلب الصبى، وفر الأطفال خائفين، ووضع العبد الصالح كلتا يديه حول رقبة الصبى بقوة فخنقه، ولم يتركه الا جثة هامدة.

ولم يطق موسى صبرا ولم يستطع السكوت على جريمة ترتكب امام عينيه فنظر غاضبا إلى الخضر واحتد عليه قائلا: كيف تقتل نفسا بريئة طاهرة بغير ذنب جنته لقد فعلت أمراً منكراً. فنظر العبد الصالح الى موسى نظرة عتاب وقال:

«ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا» وهنا زاد على العبارة السابقة التى عاتبه بها فى الدرس الأول كلمة لك فكان هذا العتاب اشد من سابقه.

فأطرق موسى قليلا ثم قال: لن أسألك عن شىء بعدها أبدا، ولئن فعلت فلاتصاحبنى، فقد أعذرت ولا لوم عليك.

«قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذراً»

الدرس الثالث:

فانطلقا ومضيا إلى قرية، وكان الجوع قدبلغ منهما مبلغا كبيرا، فسأل العبد الصالح بعض أهل القرية طعاما، إلا أنهم كانوا يرفضون ويتعللون ويتخلون. وهو امر يدل على خسة أهل هذه القرية ودناءتهم حيث أن ضيوفهم



لم يطلبوا مالا وإنما طلبوا طعاماً ولم يقدم لهم أحد من هذه القرية طعاما يسد جوعهم.

وعندما وصل الخضر وموسى إلى إحدى ضواحى القرية مرا بحديقة قد وقع بعض حائطها أو تشقق يوشك أن يسقط. فشمر العبد الصالح عن ساعديه وراح يعمل فامسك الحجارة ويرم الحائط كما كان.

كل ذلك وموسى عليه السلام فى ذهول وتعجب، ولم يستطيع السكوت على إسداء معروف إلى أهل هذه القرية البخلاء الذين بلغوا الغاية فى الخسة والدناءة، فقال: لولا طلبت منهم أجراً على مافعلت؟ وهنا قال الخضر لموسى الذى أنذره بالافتراق، هذا حدا لمصاحبته ونهاية المرافقة بينى وبينك، ولكل منا طريقه وسبيله ولن أتركك تمضى هكذا دون ان انبئك بتفسير مالم تطق عليه صبرا.

ياموسى إنك على علم من الله علمك أياه لا أعلمه وأنا على علم من الله علمنيه ولاتعلمه.

تفسير الدروس السابقة:

قال العبد الصالح:

أما السفينة التى خرقتها، فقد كانت لجماعة من المساكين هى مصدر رزقهم ومعاشهم. فأردت أن أعيبها وأفسد صلاحيتها إلى حين. حتى لا يأخذها منهم ملك البلاد الطاغية الذى كان يصادر كل مركب، وسيتولى على مال الناس ومتاعهم غصبا وقهرا وظلما.

وأما الغلام فقد كان مولودا لأبوين صالحين مؤمنين، وكان ينتظر منه أن يرهقهما ويشقيهما بكفره وانحرافه وسوء سلوكه، فأراد ربك سبحانه وتعالى ان يعوض عليهما خيرا من هذا الولد ولد آخر عنوان الطهارة فى الاعتقاد والسلوك والبر والرحمة والمحبة والطاعة ويريحهما من هذا الغلام.

وأما الحائط الذى سويته، وجددت بناءه، فقد كان ملكا لولدين يتيمين من أهل القرية، وكان تحت الجدار كنز لهما، وكان والدهما رجلا صالحا، فأراد ربك أن يشبا ويكبرا ثم يستخرجا هذا الكنز.

ونلاحظ هنا بني العزيز ان الله تعالى يكرم الأبناء بسبب صلاح الآباء كما قال تعالى وليخش الذين تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله ويقولوا قولا سديدا.

وأيضا فإن الله تعالى يكرم الآباء بسبب صلاح الأبناء ويسجل لهم الحسنات فى قبورهم بدعاء الصالحين من أولادهم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ:

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية او علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له.

وأيضا لو وقع الجدار والغلامان صغيران لنهبه أهل هذه القرية الخبثاء. ويقول المفسرون إن الخضر عليه السلام قد بنى الجدار بناء حيث يسقط عند وصول الغلامين إلى سن الرشد.

وقال الخضر - ياموسى - اعلم أن كل ذلك التصرف إنما كان بأمر الله تعالى وعلمه.

وبهذا استدل علماء أهل السنة على نبوة الخضر خلافا لغيرهم.

ثم دعا له وانصرف وألقى عليه السلام.

قال هذا ثم مضى فى طريقه، وعاد موسى أدراجه من حيث أتى وقد تعلم الكثير من العبد الصالح. كما قال ربنا عز وجل.

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الاسراء: ٨٥).

وكما قال تعالى «وفوق كل ذى علم عليم».

قصـــة
أصحاب الكهف

قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا

يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾(الكهف: ٩ ـ ٢٦).

قصة أهل الكهف:

بنى العزيز:

حدثت هذه القصة فى زمان بعيد، وهى صورة من صور الصراع بين الإيمان والكفر، الذى يحدث فى كل العصور، إلا أنها تميزت بسمات وميزات وخصائص تميزها على كثير من قصص هذا الصراع حيث يتجلى فيها قدرة الله تعالى على البعث والنشور وتضمنت وقائع عجيبة واحداثا غريبة ودروسا قيمة.

ففى إحدى البلدان كان هناك ملك كافر وثنى يعبد الأصنام ومعه غالبية شعبه، وأعوانه من الحاشية والوزراء، والشرك دائما يكون مصحوبا بالضلال والفساد والغباء حيث يكف الناس على أصنام يعبدونها من دون الله تعالى مع أنها لاتنفع ولاتضر ولاتسمع ولاتبصر ولاتغنى عنهم شيئا. وكان هناك منتفعون من هذا الفساد وعلى رأسهم الكهنة واصحاب السلطة.

وعندما يتحلل الناس من منهج الله تعالى وينحرفون عن التوحيد يتفشى فيهم الجهل والخرافة والزنا والقتل وشرب الخمور واضطهاد الضعفاء ونهب الأموال وغير ذلك من الفساد الذى ينجم عن ضعف عقول المشركين، فضلا عن أن الشرك فى حد ذاته جريمة عظمى وفاحشة كبرى وهم أظلم الظلم كما قال تعالى «إن الشرك لظلم عظيم».

قام مجموعة من الشباب المؤمنين الموحدين اتصفوا بالجرأة والشجاعة والاخلاص لله تعالى اتبعوا سبيل الهدى، واعلنوا كلمة التوحيد وواجهوا الغالبية الكافرة، وأعلنوا الحرب على الشيطان بعد أن خفق صوت الإيمان وانزوى إلى حين.

قام هؤلاء الفتية بأمر الله. ونفضوا عنهم غبار الكسل والعجز، وتصدوا للباطل، فتولاهم الله تعالى برعايته وحفظه وعونه فزادهم هدى، وأنار بصائرهم وأبصارهم.

وربطنا على قلوبهم:

إذ قاموا فى وجه الطغيان والشرك والاستخفاف بالعقول، لايخشون ناسا ولارهقا، ولايبالون بسطوة ملكهم الطاغية وأعوانه، إذ ربط الله على قلوبهم بالايمان.

وأعلنوها مدوية فقالوا ربنا رب السموات والأرض. لا الاوثان ولا الأنصاب ولا الأحجار. وياقومنا أنتم فى ضلال مبين، لن نخضع للظلم ولن نسايركم فى الفساد والضلال، ولن نسجد لغير الله تعالى «لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا». أى إذا عبدنا غير الله ودعونا غيره. والشطط الانحراف وتجاوز الحد.

وراحوا ينشرون دعوتهم فى كل الأوساط والتجمعات والأندية والأسواق.

المواجهة:

وكان الطغاة لهم بالمرصاد، وخاف الملك على سلطانه وعلى دولة الشرك والفساد، فهدد الفتية بأشد العقاب إذا لم يكفوا عن ماهم عليه. فتبرأوا من قومهم، ورفضوا أن يقولوا على الله كذبا.

«هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا».

العزلة فى الكهف:

هاجر الفتية المؤمنون خارج بلدهم فراراً بدينهم لما اشتد عليهم الاضطهاد والتعذيب ورفض قومهم الإيمان ولجأوا إلى كهف فى الصحراء.

ومن المعلوم أن الكهوف مأوى للسبع، والضوارى (الوحوش)، ومسكن للزواحف (الثعابين) والحشرات القاتلة، فضلا عما يكتنفها من الظلام الحالك (شديد السواد) مما يبث الرعب فى أقوى القلوب.



غير أن هؤلاء الفتية لم يرهبوا من هذه المخاطر العظيمة ولعل الله تعالى قد دافع عنهم وأمر الزواحف بألا تقربهم ولاتؤذيهم، وألقى السلام والسكينة عليهم.

السبات الطويل:

ومع حلول الليل، شعر أصحاب الكهف بالراحة بعد التعب، والإطمئنان بعد الخوف، ثم غشاهم النعاس، فناموا نوما عميقا، وأشرقت الشمس فى الصباح والفتية المؤمنون مازالوا فى سباتهم لم يستيقظوا كسائر الناس.

بنى العزيز:

أمر الله سبحانه وتعالى الشمس أن تخالف قانونها الذى سنه لها بأن لها خط سير محدد فى أثناء تحركها من المشرق إلى المغرب، لاتحيد (تتحول) عنه. امرها عز وجل أن تتباعد اشعتها عن باب الكهف وتميل ناحية اليمين ثم تعتدل، وإذا غربت تمسهم مساً خفيفا من ناحية الشمال، فلا تؤذيهم باشعتها الساخنة. وكانت رقدتهم فى ناحية من الكهف كالجب او هم فى فجوة منه.

وهذا الميل الشمسى كان آية من آيات قدرة الله تبارك وتعالى: فالمؤمن يكون فى معية الله تعالى، لايحزن ولاييأس ولايستسلم، أما الكافر فهو على خط دائم يكتنفه (يلفه) الحزن واليأس لأنه فقد النصير والمولى الحق وتوكل على من لايضر ولاينفع.

وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال:

وتتابعت الأيام والشهور والسنون..وهم فى رقدتهم. عيونهم مفتوحة، وحدقاتهم متسعة، وأنظارهم مصوبة فى اتجاه واحد، لاتهتز اجفانهم ولاترتعش رموشهم، فكأنهم أيقاظ وهم رقود. وكلبهم راقد بباب الكهف نام مثل نومتهم، ولو قدر لإنسان أن يطلع عليهم فى رقدتهم لأمتلأ قلبه رعبا وخوفا من منظرهم وتصويب أبصارهم. ولما استطاع الناظر إليهم أن يحدق فيهم وإلا ولى فرارا ورعبا. وهذا أيضا من حفظ الله لهم.

وكانوا يتقلبون فى منامهم ناحية اليمين وناحية الشمال بحركة لا إرادية من غير إحساس ولا إرادة منهم وإنما بفضل الله تعالى وحكمته حتى لاتتجمد دماؤهم وتأكل الأرض أجسادهم.

وكذلك بعثناهم..

تعاقبت الأيام والسنون على أصحاب الكهف ومر عليهم ثلاثمائة سنة شمسية تعادل ثلاثمائة وتسعة قمرية لأن السنة القمرية تنقص عن السنة الشمسية أحد عشر يوماً.

وماتت أجيال ونبتت أجيال أخرى، وزالت معالم وقامت معالم جديدة وزالت عروش وملوك وقام غيرها. وتبدلت الأرض ومعالمها وتغيرت عمارتها. ثم بعثهم الله من رقدتهم الطويلة وسباتهم العميق فقاموا منتبهين، هذا يتثاءب، وذاك يتمطى، وذاك يتثاقل، ثم تساءل واحد منهم قائلا لإخوانه كم لبثتم؟ ولما نظروا إلى هيئاتهم ولم يجدوا عليها تغييرا ظنوا أنهم ناموا كما ينام الناس فى العادة يوماً أو بعض يوم. فأجاب المسئول لبثنا يوماً أو بعض يوم واللبث المكث. فرد آخرون الله أعلم بما لبثتم. ونحن الآن جياع.

طلب الطعام:

كان الجوع أول ما أحسوا به بعد يقظتهم.. وكان هذا الإحساس يلح عليهم، ولكنهم كانوا يخافون ان يعثر عليهم الملك الطاغية واعوانه وتذكروا أنهم مطاردون فكيف يتصرفون؟

ثم اختاروا أحدهم توسموا فيه الذكاء وحسن التصرف وأعطوه بعض العملات الفضية وقالوا له:

ائت المدينة متخفيا، وحاذر أن يراك أو يعرفك أحد ولاتحدث أمرا يلفت النظر إليك، فاشترى لنا طعاما، وكن متنبها حذراً، لأنك إن وقعت وقعنا معك وعرف مكاننا، ولسوف نكون معرضين للفتنة من جديد، فإما أن يعذبونا بالحبس والرجم، أو نترك ديننا وإلهنا ونعود فى ملتهم. وفى كلتا الحالتين لانرجو فلاحاً.



وكذلك أعثرنا عليهم:

ولما دخل الرجل المدينة.. كان منظره غير مألوف، فى لباسه وهيئته، بالنسبة إلى سائر الناس فى المدينة بعد هذا الزمان الطويل الذى تغيرت فيه المعالم والعادات وجدت فيه أجيال وحدث فيه اختلاف كثير. وكان هو يتعجب من المدينة التى تغيرت معالمها وطرقها ومساكنها وحوانيتها (محلاتها) فكان يتعجب من أشكال الناس، وكأنه من عالم غير عالمهم، وبلد غير بلدهم. فسعى فى الشوارع متفرجا دهشا ناسيا الحذر وما وصاه به رفاقه وراح يتنقل على غير هدى، حتى أتى بائع أطعمة، فأخرج له النقود الفضية وقدمها له، وفوجىء البائع بهذه العملات الأثرية فصرخ وتجمهر الناس، وظنوا أن هذا الإنسان الغريب الهيئة قد عثر على كنز، فلما كلموه.. وجدوه لايفقه لغتهم، وحين رد عليهم لم يفهموه أيضا.

وبعد الأخذ والرد والتجاذب والشد، أفلت منهم وراح يجرى باتجاه رفاقه فى الغار، وتراكض الناس من خلفه.. وكل يخبر غيره بخبر هذا الغريب، فأخذ الناس يتزايدون رجالا ونساء، كبارا وصغاراً، ووصل الخبر إلى الحاكم فأرسل سرية من الجند لتعرف سر الرجل وكنزه.

إن وعد الله حق:

ولما وصل الناس إلى الكهف وكثر اللغط فيما بينهم، ورأوا أصحاب الكهف وعرفوا سرهم. طلب الفتية المؤمنون من الله تعالى أن يميتهم وقد أصبحوا فى زمن غير زمانهم وأهلا غير أهلهم بحيث لايستطيعون التكيف معهم، وبحيث يصيرون احدوثة وأثرا من الآثار يأتى الناس ليشاهدوه. فاستجاب الله لهم واماتهم.

وتدارك الناس حكايتهم وأخبرهم مؤرخوهم وشيوخهم الطاعنين فى السن بقصة هؤلاء الفتية الذين فروا بدينهم إلى الصحراء وانقطعت اخبارهم.

وكان فى قصتهم عبرة لأولى الألباب ودليلا قاطعاً على قدرة الله تعالى فى البعث والنشور وإحياء الموتى وإخراج من فى القبور.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ (الكهف: ٢١)



قصـــة
ذي القــــرنين

قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: ٨٣ ـ ٩٨).

صفة ذو القرنين

كان ذو القرنين ملكا قويا عادلاً صالحا. قد مكن الله له فى الأرض، فأعطاه سلطان قوى الدعائم وملكا واسعا ويسر له أسباب الحكم والفتح ونشر الاسلام والتوحيد، بالعدل وبقوة الناس وكذلك علمه علوم العمران والهندسة والبناء فشيد المدائن والسدود، وساس الناس وفتح البلاد ـ واحسن السيرة فى رعيته فأحبه الناس، ودانوا له بالطاعة. وقد اختلف العلماء فى حقيقته أهو ملك بشر أم ملك من ملائكة الله تعالى أم كان نبيا.



ومن المعلوم عنه أن كان طوافا كثير الاسفار جاب الأرض شرقا وغربا وكان له السيادة على العالم.

الى مغرب الشمس:

خرج يوما فى جند كثيف فى عدد، يسد الأفق كالجراد خارجا عن حدود بلاده سائحا فى الأرض لنشر الايمان والعدل فى أنحاء العالم المختلفة، لايبغى ظلما ولاعدوانا. وإنما يرفع الظلم عن الناس والشرور والآثام ويردع الجبابرة ويدعوا إلى الله تعالى. فسلك طريقه إلى المغرب، ومضى فى رعاية الله، حتى بلغ قرن مغرب الشمس عند المحيط الأطلسى الذى كان يسميه الناس بحر الظلمات. ويظنون أن اليابسة تنتهى عنده، وتوقف بجيشه عند مصب أحد الأنهار، حيث تكثر الأعشاب وتتجمع حولها طين لزج هو الحما وتوجد برك الماء.

فتوحات الملك العادل:

هناك وجد قبائل كثيرة مختلفة الألوان واللغات، بعضها مؤمن وبعضها كافر. فدخل ديار هؤلاء الناس راغبا فى الخير قاصداً للإصلاح والهداية. وأعلن دستوره على ملأ من الناس: ان للمعتدين الظالمين عذاب دنيوى يجرى على يديه وعقوبة وتنكيل ثم يردون إلى ربهم فيعذبهم عذابا نكراً، لامثيل له فى الدنيا ولا يطيقه مخلوق.

وأما المؤمنون الصالحون فإن لهم الجزاء الحسن والمعاملة الطيبة والتكريم والمعونة والتيسير.

لقد كان لهذا الدستور والمنهج الذى نهجه ذو القرنين اثره البالغ فى ضبط أحوال الناس، وتقويم سلوكهم ونشر العدل بينهم وردهم إلى الصواب، واستقامة حالهم لما استجاب الناس له والتفوا حوله.

دستور ذو القرنين

والدستور هو القانون الأساسى الذى يضبط سلوك الأفراد وينظم أحوال المجتمعات ويحدد أهدافهم وطرائق عيشهم، ويحدد لهم الحقوق والواجبات.

وهكذا يجب على كل حاكم أن ينصف المظلوم من الظلم ويضرب على يد الظالم لتستقيم امور الحياة ويحدد الواجبات والحقوق والأهداف والغايات

ويرسم الخطوط العريضة التى تنتظم تحتها كل القوانين وليس هناك اعدل من الدستور الألهى والمنهج الربانى وشريعة الله.

فحين يجد المحسن جزاء احسانه، ويجد المعتدى جزاء إفساده عقوبة وإهانة عندئذ يجد الناس مايحفزهم إلى الصلاح والإنتاج. ويشجعهم على العطاء والبذل والعمل والانتاج بجد واخلاص. اما حين يضطرب نظام الحكم وتميل كفة الظلم، عندئذ يرحب المفسدون وينبز الصالحون فتتحول سلطة الحاكم إلى أداة فساد وإفساد، ويصير النظام إلى فوضى وانهيار فالعدل اساس الملك.

ثم اتبع سببا:

بينما كان ذو القرنين فى أقصى المغرب.. يشد الرحال إلى المشرق، ويتبع سببا جديدا، مستعينا بالله تعالى متوكلا عليه. هذا الجيش القوى الخاضع لملك مؤمن عادل، يكون من الخير للبشرية أن يزحف، لينعم الأرض بخيره ويضرب على أيدى الجبابرة والمشركين ويخلص المستضعفين من نير (ظلم) الظالمين. وهكذا كان يفعل ذو القرنين.

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾

سار بجيشه يجتاز الصحارى والقفار (الأماكن القفر الخالية من الزرع)، ويعبر الجبال والوديان والسهول، حتى بلغ أقصى شرق أفريقيا، وهى أرض مكشوفة لايحجبها عن الشمس مرتفعات ولا أشجار، فالشمس تطلع على أرضها دون ساتر يحجب أشعتها، فهى بلاد قليلة التحضر، فوطد فيهم دعائم الإيمان والنظام، وسهل لهم أسباب الحياة بما شيده من عمران وبما علمهم من علوم العمارة والبناء والهندسة.

كان ذو القرنين يجوب البلاد فى رحلته بين شرق الشمس إلى المغرب ثم إلى المشرق يمر على أقوام وشعوب، ومدن وقبائل وعشائر مختلفة فى ألوانها وثقافاتها وغناها وفقرها.

كان لايبغى ظلما ولا نهبا ولا استغلالا، وإنما كان يريد الهداية والتعمير وصلاح أمور الدنيا والآخرة، بالدعوة إلى الله تعالى وإقامة العدل بين مختلف البقاع. وسخر قوته من أجل هذه الأهداف النبيلة والغايات السامية.

بين السدين:

أتم ذو القرنين رحلاته وفتوحاته الإصلاحية فى الغرب والشرق، ثم عاد إلى قاعدة ملكه فى اليمن منتصرا، وكان متواضعا يشكر الله تعالى الذى وفقه ونصره وأعانه، وقبل أن يستقر فى وطنه علم ان بلاد مابين السدين تتعرض لغزوات قبائل يأجوج ومأجوج الكافرة على بلادهم يعبثون فيها فساداً وظلما وتخريبا ونهبا. فصمم على إنقاذهم. ورد كيد يأجوج ومأجوج عنهم، فعدل عن دخول ارض وطنه والخلود إلى الراحة، وقرر مواصلة الرحلة والجهاد فى سبيل الله تعالى.

يأجوج ومأجوج:

تقع بلاد مابين السدين فى الشرق الاقصى فى اواسط قارة أسيا، وكان يسكنها بعض القبائل البدائية، الذين يعيشون على الفطرة، وكانت تلك الشعوب مستضعفة بدائية قليلة التحضر. وكانت قبائل يأجوج ومأجوج القوية تغزو تلك البلاد فى موجات متتالية عبر ممر جبلى، فتعيث فى الأرض فساداً وتسفك الدماء، وتنهب الأموال وتثير الفزع والرعب بين هذه الشعوب. ولم يكن اهل مابين السدين قادرين على دفع هذه الاعتداءات المتكررة والغزوات المتتالية.

فلما وصل اليهم ذو القرنين بجيوشه ظنوه غازيا من طراز يأجوج ومأجوج، ففزعوا منه إلى الجبال يعتصمون بها. وتركوا خلفهم الزروع والثمار والدور والمواشى والأغنام.. لكنه طمأنهم وشرح لهم قصده فى معونتهم ورد الأذى عنهم ورفع ماحل بهم من بلاء. فقالوا له:

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (الكهف: ٩٤ - ٩٥)

والخرج هو الأجر:

اى ابنى لنا سدا وحاجزا يسد على يأجوج ومأجوج المنافذ ونجمع لك مالاً يكون لك اجرا، إذ توسموا فيه الصلاح والقوة، ولم يتبينوا انه مستغن عن أخذ الأجر منهم بما حباه الله من نعمة واسعة وثراء واسع وقناعة ورضى. فتبسم ذو القرنيين من عرضهم، ثم قال: إن القوة التى أعطانى الله إياها والسلطان الذى منحنى إياه، ومامكننى فيه من قدرة على الإصلاح. وهيأ لى من اسباب العزة والنصرة ورضوانه فى الآخرة خير لى من هذا الأجر الذى تعرضونه على بل ومن الدنيا ومافيها.

بناء السد

رأى ذو القرنين أن أيسر طريقة لإقامة السد هى ردم الممر بين الحاجزين الطبيعين.. الجبلين العاليين.. فطلب من هؤلاء القوم أن يعينوه على العمل بقوتهم البدنية والعضلية، وأمرهم فجمعوا له قطع الحديد ثم وضعها فى الشعب (الطريق) بين الحاجزين.

ولما أصبح ركام الحديد بمساواة القمتين، طلب من القوم أن يشعلوا النار وينفخوا فيها لتسخين الحديد. فلما توهج أفرغ عليه النحاس المذاب فتماسك الحديد والنحاس وصار شديد الصلابة وبعد أن برد صار وكأنه والجبلين قطعة واحدة، ناعم الملمس لاتستقر فوقه قدم، ولاتستطيع يد أن تحدث فيه نقبا (ثقبا). فتعذر على يأجوج ومأجوج أن يغيروا عليهم كما كانوا يفعلون فى الماضى، وكف اذاهم عن القوم.

ولما اتم ذو القرنين هذا العمل العملاق والإنجاز الرائع والبناء الهندسى الشامخ. لم يغتر بقوته وعلمه، ولكنه رد الفضل إلى الله فشكره وذكره، وتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.. وعاد إلى بلاده.

سبب تسمية ذو القرنين بهذا الإسم:

قيل فى ذلك أقوالا كثيرة منها أنه كان له ذابتان فى رأسه وقيل لأنه طاف المشارق والمغارب وقيل غير ذلك والله أعلم.



وبعض العلماء يظن انه اسكندر ذو القرنين. يقول العلامة ابن كثير إن ذا القرنين غير اسكندر ذى القرنين لأن ذا القرنين صاحب السد كان مؤمنا موحدا واسكندر بن فيليب المقدونى كان وثنيا مشركا من اهل اليونان وكان ملكا لليونان.

وبعض العلماء يذكر أن ذا القرنين كان ملكا على اليمن وبعضهم يقول إنه كان ملكاً فارسياً. وعلم ذلك عند الله تعالى. والمهم هو العبرة من القصة التى وردت فى سورة الكهف وكان اليهود قد اوعزوا إلى المشركين أن يسألوا رسول الله ﷺ عن الروح وعن فتية ذهبوا فى الزمان القديم وعن رجل طواف طاف المشارق والمغارب فذكر الله تعالى قصة الفتية اصحاب الكهف الذين ذهبوا فى الزمان القديم وقصة ذى القرنين فى سورة الكهف أيضا. ورد على سؤالهم عن الروح فى سورة الإسراء فى قوله تعالى: «يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً».

قصة قارون

قال تعالى:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٧٦ـ ٨٣).

طغيان المال:

كان قارون من بنى إسرائيل قيل انه كان ابن عم موسى عليه السلام وكان من الذين استفادوا من طغيان فرعون وفساده وفساد دولته حيث أن للطغاة والمفسدين فى كل عصر من يكونون أعوانا للظلمة يساعدونه على الظلم ويزينون له الإفساد ويتجسسون لحسابه، فيترك لهم الحاكم الفاسد الحبل على غاربه وييسر لهم سبل أكل المال الحرام.

وقد عرف فى العصر الحديث إبان الاحتلال الأجنبى لمصر مايعرف بأغنياء الحرب الذين يستفيدون من الحروب والأزمات فيحتكرون الأغذية والسلع.

وكان قارون من هؤلاء الذين استفادو من طغيان فرعون وفساد دولته فتغاضى فرعون عن فساده وما يحصله من مكوس (اتاوات) على التجار واحتكار السلع وغير ذلك من الأنشطة المحرمة التى تقوم على مص دماء الناس حتى تكاثر ماله وزاد زيادة فاحشة لدرجة أن مفاتيح كنوزه كانت من الكثرة والثقل بحيث لايستطيع حملها عدة رجال أشداء. فإذا كانت المفاتيح بهذه الكثرة فكيف تكون الخزائن وماعددها وكم تحوى من أموال، من الذهب والفضة والجواهر والأحجار الكريمة؟ وكان من أهداف موسى عليه السلام أن يخلص بنى إسرائيل من سخرة فرعون وأعوانه، وينجو بهم من الظلم والاستغلال.

وكانت المواجهة مع فرعون تعني المواجهة مع نظامه الفاسد وطغيان استبداد الحكم ومواجهة طغيان المال وكان على رأس الذين أطغاهم المال قارون الذى أخذ موقف العداوة من موسى عليه السلام لأنه خشى من موسى على النظام الذى يحميه ويوفر له جمع الأموال.

إن المال فى يد العبد الصالح الذى ينفقه فى سبيل الله ولايحتكر طعام ويؤدى حق الله فى الزكاة والصدقات.

أما العبد الفاجر الذى يمنع حق الله ويبخل على عباده ويكسب المال من حرام. هذا المال يكون فى يده نقمة لأنه يزيد من سيئاته وآثامه ويؤدى إلى خسرانه وزيادة عذابه فى الآخرة.

يقول تعالى فى سورة النحل على لسان سليمان عليه السلام:

﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠).

ويقول تعالى ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ١٥ ـ ٢٠).

بنى قارون:

كان قارون متميزا عن بنى جلدته الاسرائيليين، ولم يكن مستعبدا أو مسخراً مثلهم، وبدلاً من أن يدافع عنهم ويجعل نفسه فى خدمتهم جارى فرعون فى كفره وظلمه والتزم نهجه، فطغى وبغى وآثر الحياة الدنيا، وتجبر وتكبر، واستذل بنى قومه، وسخرهم لخدمة أغراضه وشهواته.

موسى عليه السلام يعظ قارون:

وكان موسى عليه السلام يعظ قارون ليهديه إلى الحق والى الصراط المستقيم وقد وجده فى نشوة وفرحة غامرة، وبطر وتجبر، لاهم له إلا جمع المال من أى سبيل. تتضاعف فرحته كلما جمع المزيد من الأموال والجواهر، يطربه رنين الذهب ويجد متعته فى عد الأموال وتخزينها كأنه سكير لايفيق ولايصحو من سكره.

فأرسل إليه طائفة من عقلاء بنى إسرائيل ومؤمنيهم يذكرونه بالله تعالى ويخوفونه من عقابه «لاتفرح إن الله لايحب الفرحين» أى الذين يطغيهم الفرح. ووعظه موسى عليه السلام بنفسه ليرده عن شططه وكبره، وتوعده بعقاب الله، ورغبه فيما عند الله.

إلا أن قارون صم أذنيه عن الحق، وزاغ عن الهدى، واستمر فى عناده وطغيانه.

ولاتنسى نصيبك من الدنيا:

قال له موسى عليه السلام.. ياقارون لقد آتاك الله تعالى مالا وفيرا لاحصر له وثروة طائلة لاتتوافر لغيرك، وماذاك الا ليبتليك اتشكر أم تكفر.

فاجعل مالك تستعين به فى دنياك واجعل نصيبا منه تدخره للدار الآخرة ينفعك هناك ويكون لك ذخرا يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وإن اخراجك لبعض المال على سبيل الصدقة والزكاة يطهر مالك ويباركه وينزع الحقد من قلوب الفقراء وان المال عرض زائل وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت.

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا».

وأحسن كما أحسن الله اليك:

كان قارون يستمع لموسى عليه السلام وهو غافل ينظر إلى حليه وبريقها الذى يخطف الأبصار، لايتدبر كلام النصح والوعظ والإرشاد، قلبه معلق بأمواله وكنوزه لايحب إلا نفسه ولايرى لأحد عليه حقا كان يستثقل كلام نبى الله ويتبرم به يسمع بأذنه لابقلبه.

قال له موسى عليه السلام ياقارون أحسن إلى خلق الله كما أحسن الله إليك بالصحة والعافية والرزق الكثير، وسعة العيش، وأعلم أن الله تعالى لايحب المفسدين ولايحب الفرحين. حاذر من غضبه وعقابه.

إنما أوتيته على علم عندى:

أخذت قارون العزة بالإثم واستولى عليه شيطانه، فقام هائجاً ثائراً قائلا: إن هذه الثروة جمعتها بكفاءتى وقدرتى وليس لأحد من منة على، حتى ولا ربك ياموسى.

ولئن اوتيت هذا المال من الله كما تزعم ياموسى - فذلك لأنى أهل له وجدير به، أستحقه وحدى بفضل ذكائى وعلمى.

قال له موسى: لاتغتر بنفسك ولا بمالك ياقارون لقد أهلك الله من قبلك في الأزمان السابقة من هو أشد منك قوة ومالا وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر فأخذهم الله بذنوبهم، ودفنوا فى باطن الأرض ينتظرون الحساب ولم تنفعهم أموالهم ولا أولادهم.

فخرج على قومه فى زينته:

وفى يوم مشهود لعله يوم عيد وكان الناس محتشدون فى الطرقات والأسواق خرج قارون من قصره فى أبهى حله وأفخر ثياب يزين رأسه ويديه بالجواهر والأحجار الكريمة، يركب فى موكب حاشد يتبعه حاشيته وخدمه يتبعونه بالمباخر يحرق فيها العطور، وطائفة من الخدم تحمل مفاتيح الكنوز.

كان قارون يمشى متبخترا فى زهو وخيلاء فهتف ومعه من كانوا يشاهدون هذا الموكب الفخم والأثاث والرياش الفاخر والزينة والحلى والخدم والحشم والأعوان وعلامات السعادة الكاذبة، صاح هؤلاء الذين فتنوا بزينة الدنيا وضعفت عقولهم وخربت قلوبهم عن ذكر الآخرة: «ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم» تمنوا أن يكون لهم مثل ماعند قارون من الغنى وسعة الرزق وعظم الجاه وكثرة الأعوان، قالوها متحسرين ساخطين على أقدارهم. فرد عليهم من سمعهم من أوتى حظا من العلم والايمان.

«ويلكم أيها المخدوعون، احذروا الفتنة، ولاتغرنكم الحياة الدنيا ولاتغتروا بهذه الزينة الكاذبة والسعادة الزائفة، واتقوا الله وأرجو اليوم الآخر فإن المال عرض زائل، واعلموا أن ثواب الله وجنته خير مما تشاهدون وتتمنون. وتلكم هى السعادة الأبدية، التي لازوال ولا فناء لها.

ولا يلقاها إلا الصابرون:

ثم عقبوا بقولهم: واعلموا عباد الله، من غرتكم زينة قارون وموكبه وخذلكم مظهره أن الجنة خير وأبقى من هذا النعيم الزائل والعرض الفانى حيث ان النعيم فيها لاينقطع والسعادة فيها سرمدية أبدية، لايدانيها شىء من عرض الدنيا وحطامها، ودونها نصب وتعب فى العبادة والطاعة والمجاهدة والصبر على الابتلاء والمحن، فاتقوا الله واصبروا تدخلوا الجنة ترزقون فيها بغير حساب لكم فيها الأمن والسلام.

فخسفنا به وبداره الأرض:

انصرف الناس إلى شئونهم وأعمالهم بعد أن انفض موكب قارون، ومع حلول الظلام وبعد أن عسعس الليل (أظلم) وقعت الواقعة بقارون وجعل عبرة لمن يعتبر، حدث زلزال وخسف ارتجفت المبانى وتمايلت، ثم سكنت، فهب الناس مذعورين من نومهم. مشدوهين خائفين متعجبين، أصفرت وجوههم وارتجفت أطرافهم واضطربت قلوبهم، وانعقدت السنتهم، وبعد لحظات، حدثت رجفة شديدة مصحوبة بدوى هائل، وأصوات كالرعد القاصف.

كان قارون قد دبر مكيدة لموسى عليه السلام ليلوث سمعته ويصرف الناس عنه ويشغله بفضيحة حتى لايعظه ويأمره بالكسب من الحلال ونبذ الحرام وإخراج الزكاة والتصدق على الفقراء فاتفق مع أمرأة أن تتهم موسى عليه السلام فى شرفه.

وكان الله تعالى قد أمر الأرض أن تطيع موسى عليه السلام فلما وصل الحال بقارون إلى هذه الدرجة من الفسق والفجور وصم أذنيه عن دعوة الحق واستكبر واصر على منع الحقوق وافساد الحكم ومص دماء الفقراء وتلويث سمعة الأبرياء والصد عن سبيل الله أمر الأرض أن تبتلعه فانشقت الأرض من تحت قدميه وهو فى بهو القصر وغارت خزائنه الحديدية بما تحمل من خزائن ملأى بالكنوز من الذهب والفضة والأحجار الكريمة وتساقطت الأعمدة والحجارة وتحولت إلى أتربة وانشقت الأرض وتدفق اللهب من تحته ثم تفجر الماء من تحت الأرض يتبع النار وتفجرت الأرض عيونا كأنها الطوفان. وأخذ قارون يستغيث بموسى: ادركنى ياموسى.. ادركنى ياموسى.. وموسى عليه السلام يقول للأرض ابلعيه. والناس تشاهد هذا الموقف الرهيب والدرس البليغ والطامة الكبرى والداهية والخراب والدمار فابتلعته الأرض شيئا فشيئا ثم ابتلعت كنوزه ورياشه وأثاثه وأمواله وخيوله. فأصبحت قصوره أثرا بعد عين وتحولت هذه القصور إلى بحيرة من الماء.

إنه لايفلح الكافرون:

حملق الناس مشدوهين الى الماء الآسن الذى غمر المكان، حتى الأطلال لم تكن موجودة. وتحدث الناس بعضهم إلى بعض فى دهشة وعجب واعتبار فقال الذين كانوا يغبطون قارون على ماله وزينته وسلطانه، ويتمنون مثل حظه أو بعضه من الدنيا.

حقا وصدقا إن الله تعالى يوسع الرزق لمن يريد من عباده ويضيق الرزق على من يشاء لحكمة يعلمها وقدر يقدره وقضاء يقضيه، فالحمد لله أنه لم يؤاخذنا بما قلنا ومن علينا بالحفظ ولم يخسف بنا كما خسف بقارون ولم

يعذبنا مثله وعفى عنا ومنحنا الفرصة لنتوب إليه، وأعطانا هذا الدرس لنعتبر ونعرف حقيقة الدنيا وعاقبة البغى.

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا كأنه لايفلح الكافرون.

ابنائى الأعزاء:

ويختم الله قصة قارون بقوله تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ ولا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣).

اى أن ثواب الآخرة ونعيمها يجعله الله تعالى لمن لايريدون العلو والتكبر والفساد فى الأرض وأن الفوز والفلاح بعد انقضاء الدنيا يكون للأتقياء الذين يخافون الله تعالى ويؤدون الفرائض ويجتنبون كبائر الإثم والفواحش ويجددون التوبة ويحسنون إلى عباد الله ويجعلون الدنيا جسر للآخرة. ويجعلونها فى أيديهم لا فى قلوبهم.

قصـــة
ملكـــة ســـبأ

قال تعالى:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ

مِن الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل: ٢٠ ـ ٤٤).

سليمان والهدهد:

ورث سليمان عليه السلام، الملك من أبيه داود عليه السلام كما ورث النبوة بوحى الله تعالى وأمره. وكان ملك سليمان واسعاً لم تعرف البشرية من قبل ولامن بعد ملكا مثله فى قوته وعظمته وإمكانياته حيث أن سليمان عليه السلام دعا ربه: «قال رب اغفر وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى» فاستجاب الله تعالى له وتفضل عليه بأن سخر له عالمى الإنس والجن، كما سخر له الريح والحيوان وعلمه منطق الطير أيضا (لغة الطير) فأدرك سليمان عليه السلام أن هذا الملك الواسع له حكمة بالغة وهو ابتلاء الله تعالى له واختباره فقال: «هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم اكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى كريم».

وفى ذات يوم جمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير وخرج فى موكب مهيب حيث انتشر جنوده فى الجبال والسهول. حتى أتى على وادى النمل وكان هذا الزحف من اجل الجهاد فى سبيل الله، حتى وصل إلى وادى النمل (قرية النمل) فقالت النملة الملكة لبنى جنسها: ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم واختبئوا فى جحوركم كى لاتدوسكم أقدام سليمان وجنوده فسمعها سليمان عليه السلام. فتبسم ضاحكا من قولها.. حمدا لله تعالى وشكرا، لا كبرا ولا غرورا.

وكان فى هذا درس لسليمان فكانت معرفته للغة هذه النملة سببا فى ان يدرك أنه يلزمه التواضع لله تعالى والرفق بعباد الله عز وجل فإنه وإن كان ملكا فإن الله تعالى جعل من هذه المخلوقات الصغيرة ملوكا وجعلهم أمما وشعوبا، وجعل منهم الشغالات والجنود تماما مثل دولة سليمان ملك وعمال وجنود.

ثم تفقد الطير، وكانت الطيور تظلل على سليمان وجنوده وتمنع عنهم لفح الشمس وحرارتها المحرقة، وكان الهدهد يختص بالبحث عن المياه تحت الأرض لثاقب نظره. ووجد سليمان عليه السلام فراغا مكان الهدهد مما دل على غيابه. وأيضا كان غيابه بدون إذن منه. فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل: ٢١).

اى فإما يأتيني بعذر مقبول او لاعذبنه بنتف ريشه وتركه للنمل يأكل جسده أو لاذبحنه.

وماهى إلا لحظات قلائل حتى حط الهدهد بين يدى سليمان عليه السلام معلنا طاعته مبيننا سبب غيابه قال: سيدى، لقد طوفت فى الآفاق، ورفرفت بجناحى فى السماء عابرا فوق البلاد، فعلمت أمراً تجهله ويهمك، وهو خبر يقينى وخطير حيث جئتك من سبأ بخبر مؤكد لاشك فيه.

مملكة سبأ:

بنى العزيز:

كانت فى اليمن مملكة تسمى مملكة سبأ تفصلها عن مملكة سليمان بالقدس مسافات شاسعة وأقطار واسعة، وكانت بلاد زراعية ذات حضارة. تلك البلاد التى وصل إليها الهدهد وجاء منها بالنبأ اليقين الذى يهم سليمان عليه السلام بل إن ماعلمه الهدهد عن هذه المملكة وعن ملكتها بلقيس قد أحزنه فماذا رأى الهدهد وماذا علم؟

﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (النمل: ٢٣ ـ ٢٥).

أى وجدت امرأة تملك البلاد والعباد، وتحكم شعب سبأ وتملك مقومات الأمور وأوتيت من كل شىء يصلح للملك من الفن والقوة والسلطان والنفوذ،

وقد ادهشنى عرشها الذى تجلس عليه، لم أر فى الدنيا عرشا مثل هذا العرش فخامة وروعة وأبهة.

والعجيب فى أمرملكة سبأ وشعبها أنهم قد آثروا الضلالة على الهدى، واستولى عليهم الشيطان فزين لهم سوء أعمالهم وحبب إليهم ماهم فيه من كفر وشرك. إذ حرضهم على عبادة الشمس من دون الله الملك القادر الحق الذى يخرج المخبأ فى السموات والأرض ويعلم السر وأخفى والجهر والعلن وماتخفى الصدور، وجوههم وجباههم بالسجود للشمس وهى من خلق الله تعالى وكان الأجدر بهم أن يعبدوا الله وحده الذى أنعم عليهم بما هم فيه من رزق واسع وفضل سابغ.

اذهب بكتابى هذا فالقه إليهم:

بعد أن استمع سليمان عليه السلام إلى دفاع الهدهد قال له «سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم كتب كتابا إلى ملكة سبأ وأمر الهدهد بحملها وقال له: «اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم «ثم تول عنهم» أى اختبىء عنهم وانظر ما يحدث منهم.

حمل الهدهد الرسالة وطار يحلق فى السماء متجها من فلسطين إلى اليمن يسابق الريح حتى وصل إلى مخدع (فراش) بلقيس الملكة ونظر داخل الغرفة فلم يجد احدا، فألقى الكتاب فوق السرير، ثم عاد إلى النافذة واختبأ خلف ستائرها.

فلما عادت بلقيس الى مخدعها ولبست ملابس النوم وتقدمت إلى سريرها لتنام، فوجئت بالرسالة داخل لفافة ملقاة فوق الغطاء، تناولتها وفتحتها وقرأتها بلهفة ودهشة لأن هذه الرسالة لم تصل إليها عن طريق رسول يقابلها. وازدادت دهشتها وحيرتها وتغير وجهها وأخذت تروح جيئة وذهابا تقلب فكرها فى هذه الرسالة وكيف ترد عليها.

وأمرت بلقيس بعقد مجلس الحكم وحضور أهل الحل والعقد واصحاب الشورى لعقد جلسة طارئة.. فلما انعقد المجلس الذى ضم الكبراء والعظماء وهى جالسة على عرشها، وهم ينتظرون سبب هذا الاستدعاء العاجل قالت لهم:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٢٩ - ٣١).

ثم التفتت إليهم بعد قراءتها للكتاب وقالت: «ياأيها الملأ افتونى فى أمرى ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون».

كانت بلقيس تتصفح وجوه الملأ لترى رد فعلهم على وجوههم بعد قراءة الكتاب.

بنى العزيز.. بنيتى العزيزة:

أرأيت كيف كانت هذه الملكة تحكم بالشورى وتنفى اتخاذها أى قرار خطير دون استشارة مساعديها ومستشاريها وكيف كان تقديرها للأمور وعدم التهور والتسرع وأخذ التهديد من سليمان عليه السلام مأخذ الجد. فماذا قال الملأ (علية القوم) من قومها؟

قالوا نحن اولوا قوة وألوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين، وبعد أن اعلنوا عن قوتهم فوضوا إليها الأمر لتحارب او تسالم ثقة منهم فى قرارتها وحنكتها السياسية.

وهنا تتجلى مقدرة هذه الملكة السياسية والحربية وفطنتها وذكاؤها فتقول لهم مبينة عواقب التسرع فى إعلان الحرب دون تثبت ودون اعمال الحيلة فقالت:

الهدية:

يا أيها الملأ إنى أعلم بحكم خبرتى السياسية والحربية وممارسة شئون الحكم وتجاربى «إن الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون» ويجب أن نجنب بلدنا وشعبنا لهذه المحنة القاسية على يد سليمان.. فلسوف أصانعه وأجاريه لأعرف منه حقيقة نواياه «وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة ماذا يرجعون» فوافقوها على مادبرت وقررت ثم جمعت هدية تليق بملك قوى من المال والجواهر والجوارى والعبيد وغير ذلك من التحف وبعثت بها الي سليمان عليه السلام مع جماعة من السفراء.

أتمدونني بمال:

ابنائى الأعزاء:

لما وصلت الهدية الفاخرة إلى سليمان عليه السلام فهم من السفراء أن الملكة قد أرسلت له تلك الهدية على سبيل الرشوة تصانعه بها ليكف عنها ولايحاربها ولايدعوها إلى الاسلام، او لعله فهم انه تختبره بها لترى أهو من ملوك الدنيا المحبين للمال أم صاحب رسالة ونبى مرسل ولذلك رد عليهم هديتهم واعقب هذا الرفض بتهديد شديد اللهجة يعرف أنه قادر بإذن الله على تنفيذه وامضاءه «قال اتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون إرجع اليهم فلتأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون».

عرش بلقيس:

وأراد سليمان عليه السلام أن يلقن بلقيس وملأها درسا أن القوة المستمدة من الله أعظم بكثير مما هم عليه من قوة وعنجهية كاذبة. فقال لملأه وكبراء دولته: «يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين». لأنه إذا سلب عرشها فكأنه أخذ منها رمز قوتها وسلطانها.

قال عفريت من الجن: «قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوى أمين».

أى أنا احضره إليك قبل أن ينفض مجلس حكمك وقبل أن تنصرف من ديوان المملكة وإنى قادر أن آتى به بهذه السرعة وبقوة سليما من أى نقص فأنا قوى أمين.

ولكن سليمان عليه السلام كان يريد سرعة أكثر فأعرض عن هذا العفريت ونظر إلى الملأ ليرى ماعندهم «قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، أى قبل أن تتحرك جفونك وما أن أتم هذا القائل كلامه حتى كان العرش ماثلا أمام سليمان عليه السلام كما هو من غير نقص.

فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم.

بني العزيز... بنيتى العزيزة

يستفاد من هذه الآيات الكريمات أن هناك فى الأرض خلق من الجن وأن العفريت نوع من هذا الجنس الذى لانراه ويشاركنا الحياة على هذه الأرض كما قال تعالى: «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم».

وبعض الناس ينكر وجود الجن يريد أن يظهر للناس أنه منحاز إلى جانب العلم المادى وأنه شديد التحضر والواقعية وهو على خطر عظيم لأن وجود الجن ثابت بالقرآن والسنة الصحيحة، ولأن الإقرار بوجودهم لايتعارض مع الاقرار بالعلم المادى والمعملى ولايتعارض مع التحضر وقد ذكر الجن فى عشرات من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تخبر عن خلقهم وأحوالهم وعقائدهم وأعمالهم وصلتهم بنا وموقفهم من البشر ومن أبى البشر آدم عليه السلام وأن هذا الخلق غير المرئى يتمتع بقوى خارجة. وأننا نستطيع إتقاء شرهم بالمداومة على ذكر الله تعالى والتعوذ به منهم واللجوء إلى الله سبحانه دونهم وأن من يتخذهم أولياء من دون الله فقد اشرك بالله والعياذ بالله.

أما هذا الذى كان عنده علم من الكتاب فقد اختلف المفسرون فى تحديد شخصيته فمنهم من يقول إنه وزير سليمان العبد الصالح آصف بن برخيا ومنهم من يقول إنه سليمان نفسه ومنهم من يقول إنه جبريل عليه السلام. وهناك رأى حديث جاء على ألسنة بعض الكتاب والباحثين المعاصرين يقول: إن الذى أتى بعرش بلقيس فى أقل من لمح البصر مخترقا حاجز الزمان والمكان اتى به بطريقة تحويل المادة إلى طاقة ثم تحويل الطاقة إلى مادة أى أنه حول العرش بما فيه من ذهب ومعادن وخلافه إلى أشعة تخترق الهواء بسرعة هائلة فى زمن لايتعدى الثانية الواحدة ثم إعادة تحويل هذه الأشعة إلى مادة فعادت كما كانت عرش بلقيس كما هو.

وقد أجريت تجارب على هذه العملية المعقدة ولم تكلل بالنجاح بسبب أن تحويل المادة إلى طاقة قد أدى إلى تشتت هذه الطاقة فى الهواء وعدم القدرة على إعادة جمعها والتحكم فيها. والله تعالى أعلى وأعلم.

أهكذا عرشك:

وبينما كانت الملكة بلقيس ملكة سبأ فى طريقها إلى مملكة سليمان عليه السلام بفلسطين وقد اصطحبت معها كبراء دولتها وأتت فى موكب حاشد وقد آثرت (فضلت) أن تقى شعبها مخاطر الحرب وأهوالها وأثرت السلامة لبلدها، وقد نمى الخبر (وصل) إلى سليمان فاراد أن يقطع أى شك لديها ولدى حاشيتها وأرباب دولتها فأمر بإحضار العرش واحضر العرش فعلا قبل قدومها ودخولها على سليمان فى عرشه الفاخر. أمر سليمان عليه السلام بتنكير العرش أى تغيير بعض معالمه ليختبر ذكاءها ولتعقد الدهشة لسانها لينظر أتهتدى أم تكون من الذين لايهتدون ودخلت بلقيس على سليمان فى قصره العامر وسلطانه الواسع وملكه العريض وحضارته المتقدمة. ورحب بها واكرم وفادتها ثم سألها وقد دخل بها إلى مكان العرش «أهكذا عرشك قالت كأنه هو».

قال سليمان وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ماكانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين.

أى أن الذى جعلها فى حالة الكفر والشرك والجهالة وفساد العقيدة رغم أنها كانت ذكية فطنة قد خبرت الحياة وخبرت الناس ومارست الحكم واكتسبت المهارة واللباقة أن هذا الكفر والشرك كان نتيجة مانشأت عليه من تلك البيئة الفاسدة وما ورثته من الآباء والأجداد وماستقرت عليه العادات والتقاليد وما ألفته من ضلالات.

بنى العزيز.. وبنيتى العزيزة:

إن أكبر مابعد الناس عن دعوة الهدى والتوحيد ان يتعصبوا لما وجدوا عليه آباءهم وإن كانوا فى ضلال مبين فهم لايريدون ان يتركوا ما ألفوه وما ورثوه ويتخوفوا أن ينسب إلى الآباء الضلال والسفه حتى لو كان الحق ظاهر جلى. فإذا ماجاءهم مايزيل عنهم هذا الصدأ ورأوا قوة أولياء الله وصدق حجتهم واستقامة سلوكهم وزهدهم فى حطام الدنيا دخلوا فى الاسلام وأسلموا لله تعالى وصدقوا برسله إلا من كان معاندا يحب الكفر على الايمان ويرضى بالدنيا بدلا عن الآخرة ويتكبر ويستنكف عن التسليم لمنهج الله الذى يأمره وينهاه وينظم له حركة حياته ويجد من حريته فى إفساد حياته وحياة الآخرين.

فكان مافعله سليمان عليه السلام أن أزال هذا الصدأ الذى خيم على هذه الملكة وملأها وشعبها فأقنعهم بالحجة وقهرهم بالقوة فسلب عرشها ثم أدخلها إلى قاعة زجاجية مصنعة من قوارير فكشفت عن ساقيها وحسبت انها لجة ماء (حوض ماء) قال إنه صرح ممدد من قوارير قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين».

قصـــــة
هــاروت ومــاروت

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٩٩ ـ ١٠٣)

فصل من قصة بنى إسرائيل:

هذه الآيات من سورة البقرة تحكى جانبا من قصة اليهود. وقد اتسمت بالغرابة وحكت عنهم اتصافهم بالشرور والآثام، والجحود والنكران، والغدر وفقدان الوفاء والكذب والافتراء وتلويث الشرفاء. وموالاة الشيطان ومعاداة الرحمن.

ولقد كان من شأنهم أن أرسل الله إليهم كثرة من الأنبياء والرسل وذلك لكثرة عصيانهم وفسوقهم ليردوهم إلى جانب الهداية والطريق المستقيم. ففهموا الأمر على غير مراد الله سبحانه وتعالى فزعموا ان كثرة إرسال الرسل إليهم لأنهم شعب الله المختار بل وظنوا أن الله تعالى الهمهم وحدهم دون سائر العالمين فقد كانوا أهل زور وبهتان.

اليهود فى المدينة:

كان اليهود فى يثرب يفخرون ويباهون عرب المدينة وهم قبيلتى الأوس والخزرج بأنهم أهل كتاب، وكانوا يهددونهم بقرب مبعث نبى آخر الزمان وأنهم يعرفونه بما وصف به فى كتبهم. من دلائل وعلامات.

ولما بعث رسول الله ﷺ عجل الأوس والخزرج بالإيمان به ﷺ وبايعوه وتواصوا أن يسبقوا اليهود إلى الإيمان به ﷺ.

أما اليهود فناقضوا انفسهم وكفروا بالرسول ﷺ بعد مابشروا به وأعلنوا معرفتهم به قبل أن يبعث بالرسالة كبرا وحسدا وعناداً.

وعاهدهم الرسول ﷺ على التعايش مع المسلمين دون إضرار طرف منهم بالآخر وعلى أن يدافعوا عن المدينة ضد أى عدوان خارجى عليها.

يقول تعالى فى سورة البقرة (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) لكنهم بطبيعتهم الغادرة الكافرة تحينوا الفرص لنقض العهود ونكث الوعود بل وصلت بهم الخسة إلى محاولة اغتيال الرسول ﷺ.

اليهود والسحر:

بنى العزيز:

السحر هو ماخفى ولطف، وهو علم يعلمه الشياطين لم يتقربون إليهم بالعبادة، وهو يصيب الإنسان باضرار فادحة منها المرض والجنون والمس الشيطانى بل قد يصل ضرره إلى درجة القتل. ولكن أضرار السحر لا تصيب الانسان إلا بإذن الله تعالى فإن شاء الله اصاب السحر وإن لم يشأ لم يؤثر السحر وليس هناك فى الكون ساكن ولامتحرك إلا بإذن الله تعالى ومشيئته قال تعالى: «والله خلقكم وماتعملون» وقال تعالى فى الآيات التى ذكرناها آنفا: «وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله».

ومن أنواع السحر النفث فى العقد فبعض السواحر يعقدن عقدا فى الخيط وينفثن فيها بريقهم مع ترديد بعض الطلاسم السحرية قال تعالى: «ومن شر النفاثات فى العقد» ومن السحر سحر التخييل حيث يسحر الساحر عيون الناس فترى الأشياء على غير حقيقتها.

وهناك سحر تعطيل الزواج وسحر المحبة وسحر التفريق وسحر المرض وسحر الجنون وسحر الربط وهذا النوع من السحر يؤدى إلى طلاق الزوجات. والسحرة لكى يعملوا هذه الأعمال فإنهم يتقربون للجن بأنواع من العبادات



والدعاء والاستغاثات وارتكاب الفواحش وهناك أنواع من السحر تتم عن طريق عبادة الكواكب وترصد أوقات طلوعها وإحراق أنواع معينة من البخور وترديد طلاسم معينة بزعم استنزال مايعرف بروحانية الكواكب وهذه الروحانية خرافة فهذه الكواكب غافلة عن عابديها ويوم القيامة تتبرأ من شركهم وكفرهم.

وإنما يلبس الجن على السحرة بأن الكواكب تدرك وتعى وتسمع وأن لها روحانية تستنزل وهذه كلها أباطيل وضلالات يزينها الجن للسحرة المشركين ليكونوا من أصحاب السعير.

والسحر مذكور فى القرآن والسنة ولكنه لا يؤثر كما قلنا إلا بإذن الله تعالى ومشيئت. وقت توسع اليهود فى تعليم السحر وتعليمه كما سنرى فى الصفحات التالية.

سليمان عليه السلام وتسخير الجن:

مر بك بنى العزيز فى قصة سبأ كيف كان ملك سليمان عريضا وكيف كانت دولته قوية وأن الله تعالى قد سخر له الانسان والوحوش والطيور والريح وآتاه ملكا لم يؤته لأحد من قبله ولامن بعده.

وكان سليمان عليه السلام يسخر الجن فى أعمال ليست فى مستطاع البشر فاستخدمهم فى أغراض شتى تعود بالنفع على البشر. يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات.

وقال تعالى: «والشياطين كل بناء وغواص».

أى منهم من يعمل فى بناء القصور والقناطر والسدود ومنهم من يغوص فى البحار لاستخراج اللؤلؤ والمرجان. وغير ذلك من أعمال.

وقال تعالى: «وآخرين مقرنين فى الاصفاد» اى انه عليه السلام كان يعاقب من يخالف أمره فيقيده فى سلاسل الحديد.

ومر بك بنى العزيز قصة بلقيس ملكة سبأ وكيف صرفها سليمان بعون الله تعالى وصرف شعبها عن عبادة الشمس إلى عبادة الله الواحد القهار.



شياطين الجن وشياطين الإنس:

كان ضعاف النفوس من بنى إسرائيل ممن لم تقبل قلوبهم دعوة الحق التى جاء بها سليمان عليه السلام من عند ربه يستمعون إلى شياطين الجن المقرنين فى الأصفاد (المقيدين فى القيود).

فوسوس شياطين الجن إلى شياطين الانس أن سليمان عليه السلام قد حصل على سلطانه الواسع وملكه العريض بالسحر. فاعتقدوا انه عليه السلام كان ساحرا ولم يكن نبيا وأخذوا يبثوا هذا الكلام فى الناس وأخذوا يتلقون فنون السحر من الجن ويتعاطونها بعد ان انكبوا على دراستها وإتقانها، سواء فى أورشليم (القدس) قبل تشريدهم على يد بختنصر ملك بابل أم بعد ذلك.

سبى بابل:

تقع بابل فى أرض العراق عند حدود فارس (إيران)، وهى مدينة ذات حضارة عريقة فى التاريخ، ولقد غزا أحد ملوكها ويدعى بختنصر، أرض فلسطين وشرد أهلها من اليهود وقتل آلافًا من رجالها وسبى نساءها وذراريها (أطفالها) مما يذكره التاريخ حتى الآن وهدم بيت المقدس وسلب التوراة من اليهود.

ولم يتعظ اليهود بما حل بهم من نقمة الله تعالى بتسليط عليهم ذلك الجبار بختنصر، وأغرقوا فى الفتنة، فعادوا الى الشرور والآثام فى أرض بابل وأمعنوا فى تعلم السحر وتعليمه، واستخدامه فى إلحاق الأذى بالناس والإستيلاء على أموالهم وإفساد عقائدهم وسفك دمائهم وهتك أعراضهم.

هاروت وماروت:

وانتشر هذا الداء الخطير، فأصبح شغل الناس الشاغل، ومدار حياتهم يأكلون به المال الحرام ويطعمون الحرام ويشربون الحرام ويلبسون الحرام ويضرون الناس، ويقطعون الأرحام ويفرقون بين الرجل وزوجته ويستغلون النفوس والعقول الضعيفة وذلك السحر من أعمال الكفر كما بينا آنفا.

«واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر».

وكان لابد من مقاومة هذا التيار الشيطانى بعنصر من الملائكة. وكان من المحتم كشف الأساليب والألاعيب والحيل والمكر الشيطانى، وكل ضروب (أنواع) التمويه (الخداع) والتضليل، حماية لأصحاب العقيدة والتوحيد، وحماية للذين يريدون الخير والهدى ويرفضون الفساد والاضلال.

فبعث الله تعالى ملكين من عنده هما هاروت وماروت، وأنزل عليهما من عنده الآيات التى تثبت العقول والقلوب وتحميها من الزيغ والعمى، فيوحيان إلى الناس أن الشياطين مكرهم كفر.. وضلالة «ومايعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، وأنما (هاروت وماروت) ليس إلا فتنة وابتلاء ليميزوا بين الخبيث والطيب.

وكان كثير من اليهود الذين اشربوا فى قلوبهم حب الشر والفساد والكفر، قد عاودتهم تلك الضلالة الخبيثة، فراحوا يتعلمون من الملكين ماكان ينقصهم من أساليب هذا الفن وظلوا على ولائهم للشيطان ونشر الفساد والاضلال فى الأرض وقد توسعوا فى ذلك فهم اصل من أصول الشر على الأرض لايزجرهم زاجر ولا يردعهم رادع ولاتجدى معهم الموعظة والآيات المعجزة ولايفهمون لغير لغة القوة فهى اللغة الوحيدة التى تزجرهم وتخيفهم. «وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله».

قصـــة
صاحب الجنتين

بنى العزيز:

قال الله تعالى فى سورة الكهف:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (الكهف: ٣٢ ـ ٤٤).

صاحب الجنتين:

كان فى بنى إسرائيل رجل مشرك واسع الثراء أعطاه الله تعالى أرضا خصبة زرعها حديقتين أودع الله تعالى فيها قمة العطاء، تتدفق المياه فيها غزيرة متدفقة من نهر صغير، وتمضى المياه فى قنوات إلى كل انحاء الجنتين (الحديقتين) لتسقى تربتها وتغذى نباتها واشجارها من الأعشاب والنخيل.

وكانت ثمارها تبدو يافعة على الأغصان كأنها القناديل المعلقة تشع نضوجا وبهاء، مما يوحى إلى النفس بالطمأنينة والرضى والحمد والشكر،

وتريح البصر وتريح النفس، وتضفى على صاحبها وساكنها متعة لاتوصف. وكان لهذا الرجل صاحب البستانين أولاد كثيرون ينعمون معه فى هذه النعمة وتتوافر لديهم سائر متع الدنيا من طعام شهى ولباس فاخر وشراب بارد وظلال ونسيم وهواء عليل وأمن وأمان ورضاء وصحة أبدان. وكانوا يسكنون مع أبيهم فى قصر فاخر مفروش بأفخم الرياش والأثاث. فقد خيرت لصاحب الجنتين وأولاده الدنيا بحذافيرها (بأكملها) كما قال رسول الله ﷺ من بات آمنا فى سربه (بيته) معافى فى بدنه عنده قوت يومه فقد خيرت له الدنيا بحذافيرها ولكن صاحب الجنتين قد توافر عنده الضروريات والكماليات حاز الأمن المعنوى والمادى كفاية فى الطعام والشراب واللباس وتحرر من الخوف ومنح الجاه والأولاد والزرع والثمار والنساء والأنعام.

ابن العم الفقير المؤمن:

وكان بجانب هذا القصر الفاخر يقطن ابن عم لصاحب الجنتين كان فقيرا رقيق الحال، قليل المال والعيال، يسكن بناء متواضعا، كوخا تآكلت جدرانه، ورث أثاثه، إلا أنه كان قانعا راضيا، صابرا شاكرا لاتفارق الابتسامة شفتيه ولا البشاشة وجهه ولا الحمد والثناء لسانه، آمن بالله ربا.. وبالاسلام دينا ـ فالدين كله اسلام ـ وكما قال تعالى: إن الدين عند الله الإسلام.

كان يغدو ويروح إلى عمله، ويكد ويكدح فى تحصيل رزقه ومعاشه، ولايقصر فى أداء واجب العبادة والشكر لله تعالى.

أنا أكثر منك مالا:

وعند مدخل البستان التقى الفقير الصابر بابن عمه الغنى الجاحد، كان صاحب الجنتين يمتطى ركوبة، فى خيلاء وزهو، وابن عمه يمضى متعب عرقه على جبينه ماشيا على قدميه، فراح صاحب الحديقتين يحدثه ويسخر من فقره ويفخر بغناه وأولاده، ويشكك فى الإيمان ويستهزئ بالمؤمنين، ثم مد بصره إلى من حوله من الخدم والحشم والعبيد والأتباع والأعناب والنخيل والثمار والأنهار. ثم دخل قصره المشيد وهو ظالم لنفسه قائلا وهو يسير الى داخل

البساتين ما أظن أن تفنى هذه الجنات أبدا وما أظن أن تقوم قيامة او ينصب ميزان او ينشر ديوان ولئن حدث ماتقول أن قامت القيامة فإننى سأجد عند ربى خيرا من هذه الجنة وأعظم لأنى استحق ذلك لكفاءتى وذكائى وحسن تدبيرى ومهارتى وعلمى وقيل إن هذا الرجل الفقير كان قد أنفق ماله على الفقراء وكان ابن عمه يسخر منه ويشيد بالبخل والحرص.

قال له صاحبه وقريبه الفقير المؤمن على رسلك يارجل اتكفر بالذى خلق أصلك من تراب وهو أباك آدم وامك حواء ثم جعلك نطفة فى ظهر أبيك ورحم أمك ثم سواك رجلا فى خلق سوى وقدرة فائقة فنسيت أصلك وأنك خرجت من مجرى البول مرتين، ومجدت نعمة الله فى تسويتك إنسانا عاقلا سميعا بصيرا معتدل القوام جميل الصوره؟ لكن أنا أقول إن الله ربى لاأشرك به أحدا، ولا تغرنى الدنيا بما فيها من نعيم زائل وزينة وثمار وقصور وأموال مثل ذلك حطام زائل ووديعة مسترجعة وسوف تفنى هذه الدنيا بزينتها وزخارفها وتعود إلى الله تعالى ربنا وخالقنا فيحاسب كل إنسان عما اقترفت يداه.

نصيحة:

وإن من تمام الشكر للمنعم عز وجل ان تقول عندما تشاهد ما أنت فيه من نعم. ماشاء الله لاقوة إلا بالله لأن الزرع فى ريعانه والثمر فى نضوجه إنما حدث بمشيئة الله تعالى وحده، وبقوة وتدبير من عنده وأيضا فإنك إن تزهو وتفخر على بكرة مالك وولدك، فإن الذى أعطاك ذلك قادر على أن يسلبه منك، وأن يعطينى مثله او خيرا منه، ويرسل على بستانك صاعقة محرقة لاتبقى ولاتذر وتعود فقيرا معدما كما نزلت من بطن امك عاريا لاتملك شيئا ولاتعلم شيئاً.

وهو سبحانه وتعالى قادر أن يجفف ينابيع الثمر فتصبح ارضا يابسة تفور أنهارها وتبتلع الأرض ماءها فلا تستطيع إستخراجها ولاتري ثمارها.

وما أن انصرف عنه الرجل المؤمن حتى نزل العقاب بهذا الرجل الجاحد المشرك.

العقاب وسوء المنقلب:

ما أن دخل صاحب الجنتين بستانه حتى تلبدت السماء بالغيوم وهبت ريح عاصفة وبرق ورعد، واعقب ذلك نزول صاعقة من السماء احرقت الزرع. وغارت مياه الترع والعيون وابتلعت الأرض المياه، واقتلعت الأشجار وألقيت على الأرض محترقة هى والثمار. ونظر صاحب البستان إلى ماحل بجنتيه ونظر كالمجنون الذى فقد عقله. يهرول هنا وهناك. وينظر إلى السماء فى لهفة وجزع وحسرة تنحدر دموعه كالسيل من عينيه، وقد ارتفع صوت بكاءه وعلاه الندم حيث لاينفع الندم.

وفى لحظات كانت الجنتان خرابا خاوية على عروشها (ساقطة ماشيده فيها) ملأت بالعطب والعيدان والأخشاب المحترقة، ووقف الرجل مبهوتا يقلب كفيه حسرة على ما أنفق عليها من مال وجهد وما أضاع من وقت فى زرعها وعمارتها وتزيننها. ويقول: ياليتنى لم أشرك بربى أحدا.

ولم يكن هناك من ينصره ويدفع عنه عقاب الله تعالى وانتقامه ولا استطاع هو أن ينتصر لنفسه أو يهرب من قضاء الله تعالى: يقول تعالى فى نهاية هذه القصة المأساوية: «هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا.» أى ان الناصر والمعين والرازق فى الدنيا والآخرة هو الله تعالى وحده وأنه سبحانه هو الحق ومادونه هو الباطل الزائل الفانى والله خير من يثيب وخير عاقبة أما من لجأ لغيره وأشرك به شيئا فإنه يكون سىء العاقبة عند رجوعه الى ربه وبئس مصيره ومنقلبه.

قصـــة
بقرة بني إسرائيل

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٦٧ ـ ٧٣).

التعريف بالسورة:

أبنائي الأعزاء:

سورة البقرة مدنية (نزلت بالمدينة) وآياتها مئتان وست وثمانون آية (٢٨٦) وهى أطول سورة فى القرآن الكريم. تستغرق أكثر من جزئين من أجزاء القرآن الحكيم. وقد حفلت بالكثير من أحكام التشريع وآداب السلوك، وعقيدة التوحيد، وقصص الأمم الماضية وقصص الأنبياء والعبادات والمعاملات. وقد قال العلماء إن هذه السورة قد احتوت كل مقاصد القرآن الكريم فكأنه لخص فيها ولخصت سورة البقرة فى سورة الفاتحة وفيها اعظم آية فى القرآن آية الكرسى التى تتضمن التوحيد والثناء على الله تعالى بما هو أهله وتنزيه سبحانه وتعالى ووصفه بالأسماء الحسنى وغير ذلك من المقاصد: قال المفسرون. ان فى هذه السورة ألف خبر وألف أمر وألف نهى. وتذكر السورة من المعانى أن الله وحده هو المحيى المميت وإليه المصير وأن البعث حق والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق، وأن الدنيا تزول، وأن الآخرة خير وابقى.

وسبب تسمية هذه السورة الشريفة بسورة البقرة هى تلك القصة العجيبة التى روتها الآيات السابقة والتى تكشف عن صورة التردد والتشكك التى تمكنت من قلوب بنى إسرائيل، واهتزاز الايمان فى قلوبهم واضطراب اليقين عندهم.

جريمة قتل:

كان أحد شيوخ بنى إسرائيل على عهد نبى الله ورسوله وكليمه موسى عليه السلام غنيا ذا مال وفير وثروة طائلة، ولكنه كان بخيلا، شديد الحرص، كناز للمال يتمتع بعده وادخاره وجمعه، ويحرم نفسه نعمة الله، لايتناول طيب الطعام ولا لذيذ الشراب ولا فاخر الثياب، ولا يصل أهله وذوى قرباه وهم أبناء أخيه لايعطيهم شيئا مما آتاه الله ليشكروه ويحبوه.

لم يتزوج، فلم يرزق بولد. وكان أولاد أخيه قد طحنهم الفقر وأذلتهم الحاجة ومسهم الجوع وأتعسهم الحرمان، يتوددون إليه ويحاولون التقرب منه ليجود عليهم بالقليل ليسد عوزهم ويساعدهم على مواجهة أعباء الحياة. ولكنه كان قاسى القلب يعاملهم معاملة الغرباء ويضن عليهم بالقليل.

فكانوا يتمنون موته ليرثوه، والخلاص منه لينعموا بماله، ويتمتعوا بما حجبه عنهم وبخل به عليهم.

وطال بالشيخ العمر وامتدت به سنون الحياة، وقد مل أقاربه حياته، وكان واحد من أبناء أخيه شريرا زاده الفقر وغنى عمه حقدا وحسدا. وذات ليلة استولى عليه الشيطان، وزين له نعيم الإرث والمال الوفير والخيل والأنعام والحرث ومناه باقتناء الذهب والفضة وحثه على سرعة التعجيل بقتله. فقام إلى بيت عمه متسترا بسواد الليل وظلامه، وتسلل إلى داخل المنزل وفى يده سكين حادة النصل تلمع فى الظلام الدامس. واقترب من الفراش خطوة خطوة. قد كتم أنفاسه يتلفت يمنة ويسرة خوفا من أن يطلع عليه أحد، ثم وضع السكين على رقبة النائم وذبحه فى سرعة خاطفة.

وبعد أن سكنت الجثة وبردت، وجمد الدم المسفوك، احتملها القاتل وألقاها فى مفترق الطرق.



وكان أهل مدينة يغلقون عليهم أبوابها فى الليل، فلما أصبحوا وفتحوا أبواب المدينة وجدوا القتيل على أبواب مدينتهم.

من القاتل؟

لما أصبح الناس وخرجوا من أبواب المدينة رأو جثة الشيخ ملقاة فى الطريق فتجمعوا حولها وتجمهروا وكان بين الجمهور ابن اخ القتيل القاتل، فصرخ وبكى.. ولطم وصاح، ممثلا للبراءة والحزن العميق على العم العزيز وتحير الناس، وتساءلوا عن الجانى من هو. وما الدافع الى الجريمة دون أن يصلوا إلى معرفة القاتل.

ثم قال قائل منهم:

لنذهب إلى نبى الله موسى عليه السلام - ليجلو لنا غوامض تلك الجريمة، فأتوه فى جمهرة ومعهم ابن الأخ - القاتل - وعرضوا عليه القضية، فطلب إليهم أن يعاودوا البحث بدقة واخلاص.

فقال قائل منهم:

يانبى الله لقد استفرغنا وسعنا فى البحث والتنقيب، ونحن جادون فى معرفة غوامض الجريمة وحل لغزها وكشف سرها ومعرفة الجانى، فاسأل ربك أن يهدينا إلى الحق فى هذه القضية.

إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة:

فاستمهلهم موسى عليه السلام إلى أن يأتيه الوحى من الله تعالى - فلما عادوا إليه ثانية قال لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة.

فدهشوا من الجواب، وظنوا أن موسى عليه السلام يهزأ بهم، ويسخر. إنهم سألوه فى أمر الجريمة. فطلب منهم ذبح بقرة، وماصلة البقرة بمعرفة الجانى؟

فقالوا له: «اتتخذنا هزواً؟!»



«قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» الذين يخالفون أمر الله تعالى أو يحيدون من وحيه أو يسخرون بأقوامهم وعشائرهم، معاذ الله ياقوم أن أفعل ذلك وأنا الذى استنقذكم من ظلم فرعون بأمر الله ومعونته.. إن فى الأمر لحكمة.

الشك:

ولو أن بنى اسرائيل انصاعوا لأمر الله وأمر رسوله عليه السلام وأذعنوا لأمر الله لسهل الأمر وحسمت القضية مع توفير الوقت والجهد والمال وبان الحق من أقرب طريق.

لكن القوم مردوا على النفاق وأشربوا فى قلوبهم الشك والتردد والجدال والمماطلة.

بنى العزيز:

ولعل هناك حكمة فى أن يتم كشف القاتل عن طريق ذبح بقرة، وهى أنهم لما أشربوا فى قلوبهم حب العجل وتأثروا بعبادة الفراعنة للعجل، ذلك العجل الذى كان الفراعنة يعبدونه من دون الله تعالى من جملة مايعبدون من دون الله، وحيث أنهم عبدوا عجلا فى التيه عندما خرجوا من مصر ولم تكد أقدامهم تجف من البلل وقد عبروا اليم وأنجاهم الله من الغرق والذبح على يد فرعون وقابلوا نعم الله بالجحود والإشراك. شاء الله تعالى أن ينزع من قلوبهم حب العجل بأن يذبحوا عجلاً بأيديهم بعد أن قدسوا البقر وسجدوا لها.

قال القوم: «أدع لنا ربك يبين لنا ماهى».

قال: إنه يقول إنها بقرة لافارض ولابكر عوان بين ذلك.

والفارض المسنة الهرمة، والبكر الصغيرة التى لم يقربها الذكر ولم ينزل عليها، والعوان الوسط بين الصغيرة والكبيرة.

وظن موسى عليه السلام - أنهم قد اكتفوا بهذا البيان، فعقب قائلا: «فافعلوا ماتؤمرون».

غير أنهم ازدادوا تساؤلا تلفهم دوامة الشك، فقالوا «ادع لنا ربك يبين لنا مالونها؟!!».

فصبر موسى عليه السلام نفسه ـ ثم قال:

«إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر النظارين».

وإذا بهم يطلبون طلبا آخر قالوا:

«ادع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون، فشددوا فشدد عليهم».

التشديد:

وخرج القوم من عند موسى عليه السلام يبحثون عن بقرة بالمواصفات التى كانوا سببا فى فرضها عليهم بقرة نادرة الوجود.

فسعوا شرقا وغربا باحثين. يطرقون باب التجار والفلاحين، حتى وجدوا البقرة المطلوبة بعد عناء ومشقة عند رجل لايملك غيرها.

فطلبوا منه شراءها فأبى عليهم فأخذوا يغرونه بالمال ويزايدون عليها والفتى يتشبث بالرفض وهم يزيدون فى الثمن حتى قبل بعد جهد ومساومة. قيل انهم دفعوا ثمنا لها قنطاراً من الذهب، وكان الفتى صاحب البقرة يتيما وكان أبوه صالحا.

ذلك الجهد الجهيد والثمن الباهظ الذى تكبدوه للحصول على تلك البقرة جعلهم فى بلبلة وحيرة وتردد واضطراب وتشكك، فلما آن أوان ذبحها، ارتجفت ايديهم، وزاغت أبصارهم. واضطربت قلوبهم «فذبحوها وماكادوا يفعلون».

فقلنا اضربوه ببعضها:

وتم ذبح البقرة وأمر الله تعالى امراً أوصاه إلى نبيه موسى عليه السلام «فقلنا اضربوه ببعضها».

ففعلوا وضربوا القتيل بقطعة من البقرة، فإذا بالميت يحيا، ثم يقف على قدميه منتصبا، والدم يشخب من أوداجه، فتراجع الناس مذعورين مبهوتين، قد الجمتهم الآية وأخرست السنتهم. وتحجرت عيونهم فى مآقيهم. فسأله موسى عليه السلام:

من الذى قتلك؟

فأشار إلى ابن أخيه قائلا فلان ابن اخى هو الذى قتلنى.

﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٣)

بنى العزيز:

يقول الله تعالى فى هذه الآيات ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾ (البقرة: ٧٤).

فرغم رؤية بنى إسرائيل للآيات الباهرات والمعجزات البينات على صدق نبى الله موسى عليه السلام ورغم ماحباهم من النعم من تخليصهم من الذبح على يد فرعون إلى انجائهم من الغرق إلى تفجير الحجارة عيونا إلى مدهم بالمن والسلوى فى صحراء التيه إلى غير ذلك فإنهم قد قست قلوبهم وأعرضوا عن الحق وافسدوا فى الأرض ومازالوا يفسدون.

قصـــة
العبد الصالح عزير

قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

وقال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠)

أبنائى الأعزاء:

قال اليهود هذه الفرية (الكذبة) لأن العزير كان حافظا للتوراة ولم يكن غيره يحفظها وقد سلبها منهم بختنصر الملك الفارسى. ونسبه الولد إلى الله تعالى باطلا بالعقل والنقل.. وهذه الفكرة الوثنية قد زيفها الشيطان للأمم قديما وحتى الآن. وقد أخذ النصارى من هذه الفرية فرية أخرى حيث قالوا المسيح ابن الله. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾

والله تعالى متصف بصفات الكمال لايحتاج إلى غيره وكل الموجودات خلقه وهم محتاجون إليه سبحانه وتعالى. فالله تعالى مستغن عن خلقه وخلقه لايستغنون عنه طرفة عين.

نشأة العبد الصالح:

نشأ عزير بن جروة فى بنى إسرائيل، وكان معروفا بالصلاح والتقوى والعلم وعمق الايمان والصدق والتدين وكان عالما فقيها حكيما وكان مرجعا للناس حافظا للتوراة.

الإمتحان:

كان لعزير بستان وفيه ثمار وفاكهة يتعهده ويرعاه، فخرج ذات يوم راكبا حماره قاصدا بستانه، ومعه سلة فيها طعامه من عنب وتين وخبز جاف وكان وقت خروجه فى الصباح الباكر قبل شروق الشمس فلما بلغ المكان نزل وربط حماره إلى الوتد، ثم شرع فى العمل، فلما شعر بالجوع بعد فترة من العمل الشاق أوى إلى ظل شجرة وأتى بالسلة التى فيها طعامه، فاعتصر العنب فى قصعة ثم فت الخبز الجاف فوقه، وتركه قليلا ليبتل.

ثم استلقى رأسه إلى جذع الشجرة ورجلاه إلى حائط تستندان إليه. وكان هذا السور جزءا وبقية من قرية خربة هى بيت المقدس تهدمت فيما مضى من الزمن جدران منازلها متداعية، وسقوفها خاوية، وعظام سكانها الأقدمين بارزة. متناثرة فوق الأتربة.. وكان ذلك بعد التخريب الذى لحق بها على يد الغازى الجبار بختنصر.

وشد المنظر عزيرا واستحوذ على فكره، وحرك بواعث الإيمان بالله تعالى وقدرته فقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها يسأل عن الكيفية وكأنه يحب أن يشاهد كيفية إحيائها.

التجربة:

فأماته الله مائة عام وهو فى مقامه ذلك ثم بعثه.

وكانت أجيال من بنى إسرائيل قد ماتت، وولدت أجيال، وتبدلت أحوال وتغيرت معالم.

بعث الله تعالى إليه ملكا حرك قلبه وعينيه، ثم جمع عظامه بعد أن تفتت وصارت ريما فأعادها الله تعالى إلى الحياة وكساها لحما وجلدا ثم كساه شعرا، ثم نفخ فيه الروح فاستوى جالسا يتمطى ويفرك عينيه.

فسأله الملك:

«كم لبثت فى مقامك هذا؟»



فنظر عزير إلى الظل وقال: لبثت يوما.

ثم تأكد أن الشمس لاتزال قائمة فقال: أو بعض يوم.

بنى العزيز:

الموتى لايشعرون بالزمن فلا زمن فى القبور ولهذا مثل مصغر فى الدنيا فإن النائم أثناء نومه لايحس بالزمن ولايعرف كم من الوقت نام إلا أن يكون قد نظر فى الساعة قبل نومه وبعد يقظته.

التجربة والمشاهدة:

فقال له الملك:

«بل لبثت مائة عام»

فتعجب العزير أن يكون قد نام قرنا من الزمان أو مات مائة عام ثم بعث. فقال له الملك فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه.

وألقى عزير نظرة فى قصعة الطعام فإذا عصير العنب كما هو وإذا الخبز الجاف مازال جافا لم يبتل. لم يفسدا ولم يتغيرا. وهما على حالهما التى تركها عليها.

فزادت دهشة العزير. فقال له الملك:

وانظر إلى حمارك.

فالتفت عزير نحو مربط الحمار، فإذا هو كتلة من عظام نخرة (بالية)، فراح يردد بصره بين قصعة الطعام وبين عظام الحمار.

«ولنجعلك آية تدفع الباطل والكفر والشك، فيؤمن الناس برب العالمين».

«وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما».

ونادى الملك عظام الحمار، فأجابت وأقبلت من كل ناحية، وتجمعت هيكلا عظميا، ثم زودت بالعروق والأعصاب، ثم كسيت لحما. ثم نبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيها الملك بأمر الله الروح.. فقام الحمار رافعا رأسه وأذنيه إلى السماء ينهق.

المواجهة:

وخر عزير ساجدا لله تعالى، وغاب عنه الملك.

وقام عزير من مكانه وسباته فركب حماره وسار فى الأسواق متعجبا مايراه من تغيير لمعالم الحياة. فقد تغيرت الوجوه التى كان يعرفها ووجد ناسا لايعرفهم ومظاهر لم تكن موجودة من قبل، وهم مستنكرون منه هيأته ولايعرفونه.

وانطلق حتى أتى منزله، فإذا عجوز عمياء مقعدة، كانت أمة لأهله (جارية)، مقعدة عمياء، وقيل إنها أمه.

فقال لها:

أهذا منزل عزير؟

قالت:

نعم.. هذا منزل عزير.

وبكت وانتحبت، وأردفت.

ما رأيت أحدا منذ عشرات السنين يذكر عزيرا فقد نسيه الناس.

قال:

فأنا عزير قد أماتنى الله مائة عام ثم بعثنى.

فارتجفت العجوز، وارتعدت فرائضها على نحولها وتململت فى مكانها وكأنها غاضبة من سخرية السائل بها، ثم انفجرت قائلة:

ياسبحان الله. إن عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة، ولم نسمع له بذكر، كفى هزئا ياهذا!!

فرد عزير:

بل أنا عزير حقيقة والله شهيد على ما أقول.

التعارف:

سكتت العجوز برهة، ثم قالت:

لقد كان عزير رجلا مؤمنا صالحا، مستجاب الدعوة، يدعو للمريض ولصاحب البلاء فيشفى، فإن كنت هو حقيقة فادع الله لى أن يرد على بصرى حتى أراك. وإن كنت عزيرا عرفتك.

فدعا عزير ربه، ومسح بيده على عينيها، فأبصرت بإذن الله وقدرته، ثم أمسك بيدها وقال لها:

قومى بإذن الله..

فأطلق الله تعالى رجليها فقامت صحيحة فى عافية، ونظرت إلى عزير وقالت: أشهد أنك عزير.

وانطلقت العجوز ومعها عزير إلى مجلس الناس ومنتداهم، وكان ابن لعزير شيخا طاعنا فى السن يتحلق حوله أبناؤه وحفدته، تجلله سيماء المهابة والوقار فنادتهم العجوز:

هذا عزير قد جاءكم.

فانتفضوا فى ذعر، ثم قالوا:

ماذا تقولين أيتها العجوز الشمطاء الخرفة؟ وبماذا تخرفين؟

قالت: ألست مولاتكم العمياء المقعدة؟ لقد دعا لى ربه فرد على بصرى واطلق رجلى وجئتكم أسعى.

فتوقفوا قليلا عن تكذيبها. وفكروا فيما قالت، والحيرة تخيم عليهم ثم قام ابنه الشيخ العجوز متوكئا على عصاه واقترب منه وقال:

لقد كان لأبى شامة سوداء بين كتفيه، فكشف عزير عن كتفيه فإذا الشامة فى مكانها وكأنها نقطة مسك يفوح زكاء. فضمه اليه، وقبل يديه، وقالت طائفة من الحاضرين، من بنى إسرائيل:



لقد توارثنا عن آبائنا وأجدادنا أنه لم يكن فيهم من هو احفظ للتوراة من عزير، وبعد السبى الذى أصابنا وحرق بختنصر - للتوراة، لم يبق منها شىء إلا ما حفظت الرجال، فإن كنت حقا عزيرا فأكتبها لنا، من جديد.

قيل: وكان والد عزير فيما مضى قد دفن التوراة ايام بختنصر فى موضع لايعرفه أحد، ولكنها كانت متآكلة من الرطوبة، قد درست معظم كلماتها. فجلس عزير فى ظل شجرة وحوله بنو إسرائيل بعد أن استخرج التوراة، فأملاها لهم من حفظه.. وأقام فيهم زمنا حتى قبضه الله تعالى إليه واستغل المغالين، والضالين، والمنحرفين من بنى إسرائيل آية العزيز فأضفوا عليه صفة الألوهية والنبوة لله تعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قصـــــة

أصحاب الأخدود

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (البروج: ١ ـ ١١).

الفتنة:

أنزل الله تعالى سورة البروج لتسلية المؤمنين برسول الله ﷺ ومواساتهم، لما لحق بهم من فتنة وتعذيب وتنكيل المستضعفين مثل عمار وبلال وياسر وخباب، وتروى هذه السورة قصة اقوام من المؤمنين كانت فتنتهم أشد حتى أخبر الرسول ﷺ أنه كان يؤتى بأحدهم فينشر بالمنشار من فوق رأسه حتى أخمص قدميه، وكان أحدهم يقرض بالمقاريض (المقصات) فلايرده ذلك عن دينه، وماحدث لأصحاب الأخدود كان مثلا للصدق وقوة اليقين والصبر لمواساة أصحاب النبى ﷺ وتثبيتهم.

كيف وصلت اليهودية إلى اليمن:

بعد حادث السبى وغزو الملك الفارسى بختنصر لبيت المقدس وتنكيله ببنى إسرائيل هرب جماعة منهم إلى جزيرة العرب فمنهم من استقر بالحجاز فى يثرب ومنهم من استقر باليمن، ثم اسسوا ملكا وسلطانا.

دخول النصرانية إلى اليمن:

دخلت النصرانية إلى اليمن على يد بعض الدعاة والمبشرين النصارى الذين كانوا على دين التوحيد على النصرانية الحقة التى انزلت على عيسى

عليه السلام دون تحريف المحرفين ومغالاة المغالين الذين افسدوا دين النصرانية بادعائهم بنوة المسيح لله تعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. نشر هؤلاء الدعاة دين النصرانية وجوهرها أن المسيح عليه السلام عبدالله ورسوله ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده وإشاعة المحبة والتسامح والرحمة بين الناس فآمن جماعات كبيرة من أهل اليمن بالنصرانية.

ذو نواس:

وكان يحكم اليمن إذ ذاك ملك على دين اليهودية اسمه (ذو نواس) وكان هذا الملك جبارا قاسيا متغطرسا واسع النفوذ والسلطان، يملك جيشا كبيراً مزوداً بكثير من الأسلحة، وكان هذا الملك يعيش فى غنى وترف، واستبداد، فلما بلغته أنباء نجران وتحول الناس من اليهودية إلى دين جديد هو ملة النصرانية اتباع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ثار وغضب وأقسم ليعيدن الناس إلى دين اليهودية.

محاصرة نجران:

جهز ذو نواس جيشا كبيرا. وزحف به إلى نجران، خرج على هذه الصورة للارهاب.. فلما بلغ نجران احاط بها من جميع جوانبها، وسد المنافذ والطرق على الناس، وأعلن أنه سوف يعاقب الناس عقابا أليما ويحاسبهم حساباً عسيرا إن لم يرجعوا إلى اليهودية ويذروا الدين الجديد وأعطاهم مهلة أياما معدودات لكى يرجعوا عن الفتنة كما زعم.

الإصرار والثبات على العقيدة:

ودخل ذو نواس المدينة وأمر إلقاء القبض على المؤمنين بعد أن مرت المهلة ورفضوا الخضوع والإستسلام للكفر وأصروا على الثبات على إيمانهم وعقيدتهم غير هيابين ولا وجلين.

وأمر بشق أخدود فى الأرض، واسع ممتد، عميق الغور، ثم أمر باحضار كمية كبيرة من الحطب، فألقى فى الأخدود، وأضرمت فيه النيران، حتى التهبت وتصاعدت ألسنتها فى السماء وانعقدت فوقها سحب الدخان الأسود



الكثيف، وجلس الملك وحاشيته فوق منصة عالية ليشهد عذاب المؤمنين «والله على كل شىء شهيدا».

وسيق المؤمنون زمرا مكبلين بالحديد، والقوا افواجا فى الأخدود، ولم يفلح هذا التنكيل والإحراق فى رد الناس عن عقيدتهم وإيمانهم وثبتوا على الحق.

وتوعده الله تعالى وأمثاله من الكافرين والجبابرة بعذاب الحريق فى جهنم وهى أشد حرا من نار الدنيا، وعذابها خالد دائم لا ينقطع، ووعد سبحانه المؤمنين الذين يعملون الصالحات بجنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير.

قصـــة
أصحاب القرية

قال الله تعالى فى سورة يس:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس: ١٣ ـ ٣٠).

بناتى الأعزاء ابنائى الأحباء:

هذه الآيات من سورة يس تروى قصة من قصص الأمم التى كذبت رسل الله ومانزل بها من عذاب وانتقام وهلاك من عند الله سبحانه وتعالى وفيها العظة والعبرة لقريش والمكذبين من العرب رسول الله ﷺ.

وتختتم آيات هذه القصة بالأسى والحسرة على العباد الذين يكذبون رسل الله، ويهزؤن بأنبيائهم، ويذكرون الحق، ويحيدون عن الصراط، ويعاندون ويخدعون أنفسهم فلهم العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

حبيب النجار:

فى مدينة كبيرة، اختلف المفسرون فى تعيينها ولم تذكر باسمها فى القرآن ويقال إن هذه المدينة هى إنطاكية بالشام، وقد وقعت هذه القصة فى عصر نبى الله ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام. كان فى هذه القرية أو المدينة رجل مؤمن صالح اسمه حبيب النجار موحد لله تعالى وكان داعية يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وكان الناس يحكمهم فى هذه المدينة ملك جبار متغطرس كافر، انحرف وقومه عن عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد. اما حبيب فلم يجرفه تيار الكفر والفساد واستمسك بالعروة الوثقى، وكان لايفتأ يدعو الملك إلى الهدى، ويبصر الناس بدين الله.

وضاق به الناس ذرعا وبدعوته واتهموه بالجنون مع انه كان عاقلا صاحب ضمير يقظ طاهر النفس والبدن.

ولم يتراجع حبيب من الاستمرار فى دعوته بل كان مداوما على نداء الحق بما أوتيه من قوة الايمان وصدق اليقين والثقة فى وعد الله.

الطرد والنفى:

أشتد اذى الناس لحبيب النجار بالعذاب والإهانة والسب والشتم والضرب، وقاطعوه، ثم جاءت أعوان السلطان فأغلقوا متجره، وهددوه بالقتل. فخرج حبيب من بلده مهاجرا، وآوى إلى غار فى ضاحية من ضواحى البلد تحيط به الأشجار المثمرة وعاش هناك، يأكل من ثمار الغابة ويطعم من طيورها وحيواناتها. ويشكو إلى الله تعالى ماحل ببلاده.

المرسلون:

وبينما حبيب يناجى ربه ويذرف الدموع ساخنة فى ضراعة إلى الله تعالى بالهداية لقومه وطلب العون من الله تعالى فى منفاه إذ هبط على القرية رجلان من الرسل قيل أنهما كانا من رسل المسيح عليه السلام وقيل انهما من ابناء بنى إسرائيل مثل عيسى عليه السلام، وفوجىء الناس بما كانوا يخشونه

وهو تجدد دعوة حبيب على لسان هذين الرسولين فى الأسواق والطرقات والبيوت وفى كل مكان حتى وصل الخبر إلى تلك البلاد .

فأحاط الناس بهم وسألوهم من أنتم؟ وماذا تريدون منا؟

﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ (يس: ١٤)

وكان الشيطان قد عشش وباض وأفرخ فى هذه البلدة وزين لهم عبادة الأوثان بحجة أنها تقربهم إلى الله زلفى، وكان دعاة الشرك والمستفيدون من هذه الأوضاع والذين يريدون السلطة الزمنية (الدنيوية) وأصحاب الفساد ومن يتاجرون فى الخمور والأعراض، وأصحاب المعاملات الربوية والسيئة القائمين على الأصنام كل هؤلاء وعلى رأسهم الملك الطاغية كانوا يتمسكون بملة الشرك استجابة للشيطان وعبادة لاهوائهم وقهرا لغيرهم واستغلالا لنفوذهم. فقاموا فى مواجهة الرسل وهما صادق ومصدوق. «ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شىء إن أنتم إلا تكذبون».

الحوار والجدل:

ودخل الرسولان مع هؤلاء المشركين فى حوار وجدال، وعرضوا دعوة التوحيد والاصلاح والايمان بالحكمة والموعظة الحسنة وتحملا ماأتهم به الناسى من الكذب، فقالوا «ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون» وهذا لون من القسم أكده بلام التوكيد فى قولهم لمرسلون.

وعرض الرسولان نفسهما على الأسر والعشائر والتجار فى الأسواق والمارة فى الطرقات.

لكن جمهور الناس، وأصحاب المصالح، وذوى النفوذ وعلى رأسهم الملك الطاغية ضاقوا بهم وخافوا على نفوذهم وسلطانهم ومصالحهم الدنيوية. ولو تعقل جمهور الناس وسواد الشعب دعوة الرسولين لعلموا أنهما جاءا بالايمان والطهارة وتخليهم من الرق والاستعباد والظلم والخرافة، ولكنه العناد والعصبية لما ألفوا وماوجدوا عليه اباءهم او الخوف من اصحاب الجاه والنفوذ جعلهم يكذبون الرسل.



التهديد والوعيد:

قالوا للرسولين، «إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم».

خافوا أن تجد دعوة الرسل آذانا صاغية وقلوبا واعية فأعلنوا تشاءمهم منهم ثم اعقبوا ذلك بتهديدهم بالعذاب الأليم والرجم أى القذف بالحجارة حتى الموت. وكأنهم يهددون معهم من يفكر فى الإيمان بهم.

فقال الرسولان:

«طائركم معكم» أى أن التشاؤم يحل بكم من سوء أعمالكم وكفركم وليس من دعوة الايمان والصلاح والخير.

قال ياقوم اتبعوا المرسلين:

وعلم حبيب بأمر الرسولين وما يجرى فى المدينة من رفض لدعوة الرسولين واتهامهم بالكذب وتهديدهم بالرجم، فأسرع يسعى على عجل، لعله يفلح فى الانضمام للرسولين لهداية قومه وتخليصهم من عبادة الأوثان وهو الحريص على سعادتهم فى الدنيا والآخرة يخشى عليهم من عذاب الله ويرجو لهم ثواب المهتدين المؤمنين إن استجابوا لدعوة الحق فناداهم «ياقوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون».

فقال له قومه: اما زلت ياحبيب فى ضلالك القديم، أما زلت تدعونا لترك ماوجدنا عليه آباءنا ونعبد الهك وحده؟

فقال: «ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون» فهو سبحانه الذى خلقنى من عدم بقدرته وتقديره، وإليه ترجعون فيحاسبكم على أعمالكم، ولاينفع حينذاك الندم فبادروا بالتوبة وبقبول الهدى من رسل الله.

وهم يتمسكون بأوثانهم فقال لهم: «أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغنى عنى شفاعتهم شيئا ولاينقذون»، أى إن اتخذت آلهة من دون الله لاتشفع لى عند الله ولو نفعت لما استجبت لها وهل تستطيع أن تنقذنى من عذاب الله إن أشركتها مع الله.



ثم قـال: «إنى إذن لفى ضـلال مـبين» أى أنا إذا لفى ضـلال وبعـد عن الهدى إن عبدت شيئا مع الله أو أشركت به شيئا.

«إنى آمنت بـربكم فـاسـمـعون وهو ربى وربكم ورب كل شـىء فـاسـتـمـعـوا استماع قبول وتدبر وإنابة.

قيل ادخل الجنة:

ثارت ثائرة الغوغـاء والضـالين وبث فـيـهم ابليس نار الضـغـينة والحقـد، فأخذتهم العزة بالإثم فقاموا الى حبيب يضربونه بأياديهم، ويركلونه بأرجلهم، بعد أن انقطعت حجتهم وعجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة.

ووقع حبيب أرضا، فراحوا يطأونه باقدامهم ونعالهم. حتى ازهقوا روحه البريئة، ولفظ أنفاسه وصعدت روحه الطاهرة إلى ربها تشكو مالحق بها من ظلم وعدوان.

نزول الهلاك والعذاب بأصحاب القرية:

وقبل أن يفعلوا بالرسولين الكريميين مافعلوا بالشهيد حبيب، أمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يعاقب القوم المجرمين ليكونوا عبرة لمن يعتبر، ونجى صادق ومصدوق من بين ايديهم.

«وماأنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وماكنا منزلين» فالأمر اهون من ذلك، وانما كانت صيحة واحدة من جبريل عليه السلام، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم وتهدمت بيوتهم وقصورهم واقتلعت الأشجار فخروا ميتين لاحراك فيهم.

«إن كانت إلا صحية واحدة فإذا هم خامدون».

قيل ادخل الجنة:

«قيل ادخل الجنة» أيها الشهيد جزاء ايمانك وصدقك واخلاصك وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر.

ولما عاين حبيب قصره فى الجنة قال:

﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (يس: ٢٧).



قصـــــة

أصحاب الفيل

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾ (سورة الفيل).

من هو أبرهة:

كانت اليمن تخضع لحكم الأحباش. وتقع اليمن فى أقصى الجنوب الغربى من شبه الجزيرة العربية. فبعد مذبحة أصحاب الأخدود هرب بعض الذين استنجدوا بأمبراطور الروم النصرانى على ذى نواس اليهودى. فقال لطالبى النجدة إن بلادكم بعيدة جدا من مملكتى، ولكن أرسل الى ملك الحبشة وهو نصرانى لينصركم على ذى نواس، وقد كان ومن يومها احتلت الحبشة بلاد اليمن حتى خرجوا منها على يد سيف بن زى يزن البطل اليمنى بمعاونة من الفرس.

وكان والى النجاشى على اليمن الذى حدثت معه واقعة الفيل هو ابرهة الأشرم. وكان ابرهة أحد ضباط الحبشة شديد الغلظة والقسوة والكبر والتجبر عظيم الجسم شديد السواد، ضخم الرأس، قد شقت إحدى شفتيه من أثر ضربة سيف فى قتال من الوالى السابق له وهو ارياط.

وكان أبرهة شديد التعصب للنصرانية دين ملوك الحبشة فى ذلك الزمان.

تعلق العرب بالكعبة المشرفة:

وكان العرب من أهل اليمن وغيرهم يعظمون بيت الله الحرام حتى قبل مبعث النبى ﷺ فكانوا يشدون الرحال إلى الكعبة المشرفة حاجين زائرين. يتحملون مشقة الطريق وقلة الزاد وندرة الماء فى صبر عجيب، ثم تطمئن نفوسهم وقلوبهم عندما يصلوا إلى غايتهم لزيارة بيت الله العتيق.

وكان ابرهة الأشرم يتساءل عن رحلات الحج فيقول لمستشاريه: أى بيت يقصده العرب؟ فيقولون: يقصدون بناء متواضعا، لا فن فيه ولا ابهة ولازخرفة،



وضع قواعده ابراهيم واسماعيل عليها السلام. منذ آلاف السنين. فعزم ابرهة على صرف عرب اليمن عن الكعبة الى بيت يبنيه ليكون ولاؤهم له وأيضا لإرضاء النجاشى ملك الحبشة لأنه غضب عليه لما قتل الوالى السابق أرياط.

ثم شرع فى بناء كنيسة فخمة، جند لها الفنانين فى مختلف فنون العمارة والهندسة والزخرفة والطلاء وصرف على بنائها أموالا طائلة حتى صارت تحفة معمارية.

لكن قلوب العرب لم تصرف عن الكعبة المشرفة ولم تهف إلى هذه الكنيسة ومازالوا يشدون الرحال إلى بيت الله الحرام.

عزم ابرهة على هدم الكعبة:

أحس ابرهة بالحنق والغيظ وفقد أعصابه واتزانه لانه لم يفلح فى مسعاه واقسم ليهدمن بيت العرب ويسويه بالأرض وأخذ يتأهب لذلك ويعد العدة، وأخبر ملك الحبشة بعزمه واخذ يزين له الموافقة على هذه الجريمة. وحشد ستين الفا من الجنود والضباط بكامل عدتهم. ثم خرج بهم من مقر ملكه رافعين الرايات والطبول تقرع بين يديه لبث الحماسة فى الجند وارهاب العرب.

الفيل:

وجعل ابرهة أمام الجيش فيلا عملاقا. لم ير العرب مثله فى الضخامة والقوة، وجعل فوق ظهره هودجا (بيتا صغيرا) كبيرا من حديد حتى لاتخترقه الرماح والسهام، وغطى رأسه بالجلود السميكة لحمايته، وكان يهدف من سوق هذا الفيل فى مقدمة الجيش أن يهدم الكعبة باستثارة الفيل لينطح حجارة البيت ويهدمه باسلوب فيه تحقير للعرب ولبيتهم ورمز معتقدهم ومهوى قلوبهم ورمز دينهم.

الرحلة المشئومة:

زحف ابرهة بجيشه الكثيف، المدجج بالسلاح المحمل بالعدد يقطعون الصحارى والوديان ويعبرون الجبال والكثبان، يثار الغبار الكثيف من حوافر الخيل وترتج الأرض تحت اقدام الخيول، وابرهة فى مقدمة الجيش يعلو ظهر حصان ولقد لبس الدرع السابغة.

وكان فى الجيش مقـاتلين اشـداء، ضـاقت بهم الارض تسـبقـهم الرايات الزاهية الألوان وتدق الطبول بين ايديهم فى منظر يثير الرعب والفزع فالعرب لم يروا جيشا من قبل بهذه الكثافة.

وكان أبرهة مزهوا فخورا تبدو على وجهه الأسود علامات الكبر والغلظة والقسوة وكأنه لايرى أحدا أقوى منه على ظهر الأرض.

المقاومة:

كان ابرهة يزحف فى اتجاه مكة ومعه بعض الأدلة فعلمت بعض القبـائل عبور الجيش وعرفت مقصده فتشاوروا فى عجالة للتصدى لابرهة وجيشه للزود (للدفاع) عن بيت الله الحرام ووقف زحف هذا الطاغية الجبار، فجاشت حميتهم وتنادى زعماؤهم بالخروج لمقابلة هذا الجيش فخرج إليه عرب قبائل تهامة وعسير ووقعت بينهم وبين اصحاب الفيل بعض المعارك والمناوشات، إلا أنها باءت بالفشل الذريع، وكانت عاقبتها الهزيمة وقتل من قتل، وأبرهة يمضى فى طريقه لايلوى على شىء كالسيل الزاحف لايحجزه حاجز يهدم ويخرب ويثير الرعب اينما حل، حتى كان قريبا من مكة.

موقف عبدالمطلب:

توقف جيش أبرهة للراحة قريبا من مكة، وأقام عسكره استعداد لمواصلة المسير إلى الكعبة.

وكان عبدالمطلب قد أمر أهل مكة بعدم التصدى لهذا الجيش الكثيف الذى لاطاقة لهم به، ولتوقعه الهزيمة إن تصدى له لعدم التكافؤ، وأمر العرب أن يلوذوا بشعاب الجبال طلبا للأمان.

وكان عبدالمطلب زعيم مكة وجد رسول الله ﷺ وسيد قريش عرف بالحكمة واصابة الرأى عليه المهابة والوقار يحترم من الجميع، والكل يصدر عن رأيه ويعمل بمشورته وينصاع لأمره ويحترم إرادته ويعرفون مكانته ويعظمونه.

جس النبض والتحرش:

أخذت طلائع أصحاب الفيل يجوبون خلال طرقات مكة، ويتحرشون بالناس، ويسطون على الإبل والأغنام السارحة للرعى، واستلبوا إبلا لعبد المطلب كانت تطلب الكلأ فى المرعى عدتها مائتى، فلما علم عبدالمطلب بذلك خرج يسعى للقاء أبرهة كى يسترد منه الإبل.

للبيت رب يحميه:

حدث عبدالمطلب رجلاً من زعماء عرب اليمن كان فى جيش أبرهة ليستأذن له على الدخول على الملك. وكان هذا الرجل صديقا لعبدالمطلب فأسرع الرجل إلى أبرهة واستأذنه فى مقابلة سيد مكة وزعيمها وشيخها فسمح له.

وكان أبرهة يجلس على سرير ملكه من ورائه العبيد يلوحون بمراوح من ريش النعام وآخرون بأيديهم الحراب المصقولة اللامعة وطائفة مشهرين سيوفهم لحراسة الملك. مما يشكل منظرا مليئا بالرهبة.

ولكن عبدالمطلب لم يأبه لهذه المظاهر ودخل على أبرهة ثابت الجنان (القلب) معتدا بنفسه فقد كان مهيب المنظر بهى الطلعة شامخ الرأس، واللحية بيضاء كثيفة يعلوه الوقار، ذا قامة مديدة فوقع من نفس أبرهة موقع التقدير والتوقير، فقام اليه ورحب به وأجلسه على سريره، ثم سأله عن حاجته، فعرض عليه عبدالمطلب ماجاء له دون مناورة او مداورة او مقدمات، وطلب منه ان يرد عليه إبله. فاستشاط ابرهة غضبا وقام واقفا وقال: لقد عظمت فى نظرى منذ رأيتك والآن تكلمنى فى مائتى بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك وأجدادك؟ فقال عبدالمطلب فى رباطة جأش (ثبات) إنى رب الإبل أما البيت فله رب يحميه ويمنعه.

فقال ابرهة: ماكان ليمتنع منى.

فقال عبدالمطلب أنت وذاك.

فأمر ابرهة ان ترد عليه الإبل وخرج عبدالمطلب من عنده وطاف بالكعبة يدعو الله ويتضرع إليه أن يحفظ بيته الحرام.



وأنشد يقول:

لاهم إن العبد يمنـ	ـع رحله فامنع رحالك
لايغلبن صليبهم	ومحالهم عذرا محالك
إن كنت تاركهم وقبـ	ـلتنا فأمرها بدالك

الطير الأبابيل:

واستعد أبرهة للهجوم، ونظم جيشه، ثم أصدر أمره لسائس الفيل أن يوجهه إلى جهة مكة ويثيروه لينقض على الكعبة، لكن الفيل لم يتزحزح، رغم شدة الضرب، ورغم الوخز بالرماح والحراب، والسياط التى الهبوا بها ظهره. وكلما وجهوه الى اتجاه الشام او اليمن تحرك وأسرع الخطى، فيأسوا منه، وماهى إلا وقت يسير حتى أحتجبت نور الشمس، وظهرت طيور سود تتلاحق أسرابها حاملة فى منافيرها حجرا ملتهبا، ثم ترمى به جنود أبرهة.

بنى العزيز بنيتى العزيزة:

انظر إلى قدرة الله تعالى فى إرسال هذه الطيور التى خرجت من البحر وكانت من الكثرة بحيث حجبت أسرابها ضياء الشمس، وكيف حملت تلك الحجرات الملتهبة فى مناقيرها وبين أرجلها دون أن تحترق رغم أن هذه الحجارة كانت تحرق الرجال وتمزق لحومهم وتكسر عظامهم، فتساقط جنود الطاغية أبرهة صرعى، كأنهم العصف المأكول (التبن) تنتشر جثثهم وتتناثر قطعا فوق الرمال، وأصيب أبرهة بالرعب، فراح يلتمس طريقا للنجاة والخلاص من هذه الطيور الضعيفة الصغيرة وهو الذى كان يتسلح بالفيل.

فشل الطاغية وهلاكه:

واصيب ابرهة بحجر من هذه الحجرات أصابة بالغة فأخذ يتحامل حتى عاد راجعا إلى اليمن مثقلا يجر أذيال الهزيمة والخيبة والذل والهوان، وقد اندك كبرياؤه (هدم) وما أن وصل إلى مقر ملكه حتى لفظ انفاسه وخرجت روحه الخبيثة من جسده وقيل انه اغتيل على يد ابنه لعنه الله.

الكرامة:

وكان ماحدث لأصحاب الفيل كرامة للكعبة المشرفة وتكريم لميلاد النبى ﷺ الذى ولد فى عام الفيل وبقرب بعثته ﷺ وهو الذى طهر الكعبة من الأصنام وأعاد التوحيد وأرسل بدين الحق دين الاسلام ليظهره الله على الدين كله ولو كره الكافرون فصلوات الله وسلامه على نبيه الأعظم ورسوله الأكرم إمام المتقين وسيد الأولين والآخرين ورحمة الله للعالمين.

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة